

ديوان
قيس بن الملوح
مجنون ليلى

رواية أبي بكر الوالبي

دراسة وتعليق
يُسرى عبد الغني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تفصيل الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-0843-3



9 782745 108432

<http://www.al-ilmiyah.com.lb/>
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

[مفتح]

ولا خيرَ في الدنيا إذا أنت لم تزرُ
حبيباً ولم يَطْرُبْ إليك حبيبُ

(مجنون ليلي)

[مدخل]

- أشهر غرام في التاريخ: المجنون حقيقة بالأدلة القاطعة!!
- بين يدي ديوان مجنون ليلي
- حكاية رجل اسمه الوالبي!

[أشهر غرام في التاريخ]

ربما لم تشتهر قصة غرام في تاريخ أدبنا العربي كما اشتهرت قصة مجنون ليلى أو ليلى والمجنون، وربما لم تتسع صفحات مصادر الأدب والتاريخ لأخبار شاعر عربي كما اتسعت لأخبار قيس ابن الملوح (مجنون ليلى)، وربما لم تنسج ألوان مختلفة من القصص والحكايات والأساطير حول علاقة حب كما نسجت حول علاقة مجنون بني عامر بليلاه. ومن هنا فإن قصتهما كانت ولا تزال - موضوعاً من أهم الموضوعات التي احتلت مكان الصدارة من عناية الأدباء والباحثين حتى يومنا هذا.

وقيس بن الملوح أو مجنون بني عامر، كما عرف واشتهر بذلك هو واحد من شهداء الحب العذري الذين سجلوا في التاريخ أروع قصصه وأنبأ عواطفه، لقد شهدت مطالع الدولة الأموية حياة قيس بن الملوح (المجنون) في حين كانت وفاته ما بين (٦٥ هـ) أو (٦٨ هـ).

- لقد شهد «حي بني عامر» في بوادي الحجاز العربية بين مكة المكرمة والمدينة المنورة - صراعه العنيف مع تلك العاطفة المشبوبة التي ملأت عليه قلبه وحسه، واستغرقت أيامه ولياليه، فلقد تفتح عليها قلبه وهو حدث صبي، ثم أخذت تشب معه وتتضح في أحاسيسه يوماً بعد يوم، وتستهلك عمره سنة بعد سنة، حتى قضى حياته في هيام وغربة، في حرمان ولوعة. ثم مات وحيداً شريداً في وإدٍ منعزل كسير الفؤاد، لا تدمع عليه عين ولا يخفق من أجله قلب، وظل جثمانه بالعراء حتى بحث عنه أهله فوجدوه ثم حملوه إلى مثواه الأخير ليواروه التراب وهو لم يشف قلبه من ذلك الحب النقي الطاهر الذي عاش عمره من أجله ومات في سبيله.

وثمة روايات وأخبار مختلفة تشير إلى تلك الظروف التي نبتت فيها علاقة قيس بليلى، العامرية:

١ - بعضها يقول: انهما تعارفا صبيين حينما كانا يذهبان لرعي البهم والماشية عند جبل يقال له (جبل الثوبان) ثم ظلا كذلك حتى نمت عواطفهما الطاهرة وترعرعت.

٢ - وبعضها يقول: إن قيساً مرَّ يوماً يوماً بفتيات فسلم عليهن فبادلته السلام ودعونه للحديث فنزل عن مطيته (دابته) وتحدث إليهن وعقر لهن ناقته وأطعمهن .

وفي المساء أقبل فتى آخر فشغلن به عن قيس فأغضبه ذلك وقال شعراً فلما أصبح تعرض لهن فلم يجدهن ولكنه وجد ليلى فدعته إلى الحديث فاستجاب وصنع لها مثل ما صنع مع صويحاتها بالأمس ، فأظهرت ليلى إعراضها عنه فأصابه لذلك هم شديد ، فما كان من ليلى إلا أن رفقت به وأعلنت له حبها في شعر لم يكذب يسمعه حتى خرَّ معشياً عليه !!

٣ - وتذهب بعض الروايات والأخبار إلى تصوير قيس بن الملوح بصورة حيوانية ، حيث تذكر أنه كان شديد الولع بالنساء ، وأن ليلى العامرية كانت من أجمل وأملح نساء حبيها قاطبةً ، وأن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن إليها ويسمرن معها فترامى خبر ذلك إلى قيس فسعى إليها وضم نفسه إلى مجلسها فكان من أمره معها ما كان .

* * *

ومهما اختلفت الروايات والأخبار في تصوير الظروف التي باشرت ميلاد ذلك الحب فإنها جميعاً تتفق على شيء واحد هو إثبات حب قيس لليلى ، وأن قيساً شخصية حقيقية موجودة بالفعل ، وكذلك ليلى العامرية شخصية حقيقية موجودة .

ولكن الاختلاف في الأخبار والروايات التي قرأنا مضمونها في كتب الأدب يتضح في أطوار تلك القصة وظروفها ولعل ذلك هو الذي دعا بعض الباحثين إلى الحذر في تصديقها؛ بل قد دعاهم إلى إنكارها والتشكيك فيها .

ولعل من أبرز الأسماء التي تظالعا في هذا الصدد زعيم الشك العربي الاستاذ الدكتور/ طه حسين (رحمه الله) ، فلقد كان للمنهج الذي اتبعه في معالجة الأدب العربي القديم وهو منهج الشك أثر بالغ الخطورة في النتائج التي انتهى إليها في بحثه لقصة مجنون ليلى وغيره من شعراء الغزل العذري الذين ترددت أسماؤهم في هذا المجال من أمثال: جميل بن معمر (جميل بثينة) ، وقيس بن ذريح (قيس لبنى) ، وعروة بن حزام (عروة عفرأ) ، ونحن لا نعترض على منهج الشك الديكارتى في ذاته فهو منهج قديم تقتضيه ضرورة البحث العلمي السليم الذي يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة العلمية في جوهر من الطمأنينة واليقين العلمي ، ولكن الذي نعترض عليه هو الطريقة التي اتبعها

الدكتور/ طه في تطبيق هذا المنهج إزاء هذه القصة قصة ليلي والمجنون بوجه خاص .

فالدكتور/ طه حسين يقول بالآتي :

١ - يشك شكاً أكيداً في شخصية مجنون ليلي ، بل لا يكاد يصدق أنها شخصية حقيقية عاشت كل تلك الظروف التي صورتها أخباره وأشعاره .

وأعتقد ما وصل إليه د. طه نتيجة خطيرة ما نحسب أن سنده فيها يضاهي قدرها من الخطورة فهو يستند في إثبات ما وصل إليه إلى أمور ربما كان من السهل أن نردها أو على الأقل نضعف من قوتها .

٢ - الدكتور طه يقول (مثلاً) : إن الرواة لم يتفقوا على اسمه .

٣ - الدكتور طه يقول : الرواة لم يتفقوا على الأحداث التي زخرت بها حياته .

٤ - ويقول : لم يتفقوا على وجوده كلية .

ونقول بدورنا :

أ - إن الرواة لم يتفقوا على اسمه فتلك ظاهرة نصادفها كثيراً جداً وبخاصة بعض الأعلام التاريخية والأدبية التي لم يشك أحد في وجودها حتى الدكتور/ طه ومنهجه الشكي ، فمثلاً الصحابي الجليل : أبوذر الغفاري رضي الله عنه ، روي اسمه مرة على أنه جندب بن جنادة ، ومرة على أنه جندب بن عبد الملك ، ومرة على أنه بُربر ، وأخرى على أنه بُربر . . . إلخ

وكذلك الأحنف بن قيس المشهور بالحلم والصفح وأحد زعماء بني تميم العرب روي اسمه مرة على أنه الضحاك ، ومرة على أنه صخر ، ومرة على أنه الحارث . . .

وكذلك أعشى تغلب : ذلك الشاعر المشهور روي اسمه مرة على أنه عمرو بن الأهم أو الأهم ، ومرة على أنه عمرو بن الأهم ، ومرة على أنه عمير بن الأهم ، ومرة على أنه ربيعة بن بخوان ، ومع هذا الاختلاف الكبير فإننا لم نشك على الإطلاق من الناحية التاريخية في أن هؤلاء الاعلام أشخاص حقيقيون يرتبطون بأحداثٍ وتاريخ واضح ومشهور لنا جميعاً .

ب - إن الرواة لم يتفقوا على الأحداث التي تنسج خيوط قصة ليلي والمجنون فما نحسب أن هذا يدفعنا بأي حالٍ من الأحوال إلى انكار وجود قيس بن الملوح كلية ، وإنما المعقول أن يدفعنا إلى تمييز هذه الأحداث والنظر فيها جيداً وإبطال ما يجنح منها

إلى التطرف والمبالغة، ثم ربطها بالشاعر المنسوبة إليه وذلك حتى تتضح لنا بالمقارنة والاستنتاج ملامح الشخصية المعقولة التي تتصافر الأخبار والأشعار معاً على إثباتها.

ج - أما الحكم بإنكار شخصية لمجرد الاختلاف في تصوير الأحداث التي عاشتها تلك الشخصية فهذا في رأينا نوع من الإسراف في تطبيق هذا المنهج الذي التزمه عميدنا الدكتور/ طه حسين ومن تابعه من (الطحاسنة).

د - أما أن الرواة لم يتفقوا على وجوده، فنحن نرى أنه ما دمنا سنعتمد في هذه الناحية على جانب الرواية فإن عدد الرواة الذين نفوا وجود مجنون ليلى أو شكوا في وجوده لا يقاس كثرة ولا صدقاً بعدد الرواة الذين رووا أخبار قيس بن الملوح، وأكدوا وجوده، وإذا كان الدكتور/ طه حسين يقلل من الثقة في الرواة الذين رووا أخبار قيس فإنه بكفي أن نذكر له طائفة من الرواة الذين عرفوا بالثقة الكاملة من أمثال:

- يونس النحوي.

- أبي عمرو الشيباني.

- محمد بن السائب الكلبي.

- هشام بن محمد الكلبي.

- الأصمعي.

- أبي عبيدة.

- الهيثم بن عدي.

وكل هؤلاء إما معاصر لمجنون ليلى العامرية أو متأخر عنه بقليل... ولقد أراد الدكتور/ طه حسين بعد ذلك أن يعضد رأيه بطريقة أخرى قال إنها طريقة فنية ليست من التاريخ في شيء.

تلك هي [الاحتكام إلى شعر المجنون]، فإن ذلك الشعر على ما قال الدكتور/ طه سيثبت أحد شيئين.

١ - إما أنه مصنوع، متكلف، اخترع اختراعاً، فهو لا يعبر عن عاطفة صادقة، ولا عن حب صحيح.

٢ - وإما أنه قد صدر من أشخاص مختلفين ثم خلطه الرواة سهواً أو عمداً وأضافوه إلى شاعر واحد هو مجنون ليلى.

ولسنا ندري في حقيقة الأمر ما الذي يقصده استاذنا/ طه حسين بهذه الطريقة

الفتية؟ وما العلاقة بين هذين الاستنتاجين اللذين أشار إليهما من أن الشعر الذي نسب إلى المجنون إما مصنوع متكلف، فهو لا يعبر عن عاطفة صادقة، وإما أنه قد صدر عن أشخاص مختلفين ثم خلطه الرواة ونسبوه إلى مجنون ليلي - وهل هو في هذه الحالة الأخيرة يكون غير متكلف ولا مصنوع؟! وهل هو في الحالة الأولى سلم من عبث الرواة وخلطهم، فهو إذن لشاعر واحد!!

إنه على الرغم من عدم وضوح تلك الطريقة فهي فيما يبدو لنا تتضمن من كلا الاستنتاجين إثبات شخص نسب إليه ذلك الشعر، فهو في الاستنتاج الأول يفرض أن ذلك الشعر لشاعر واحد ولم يزيّف عليه شيء. ولكنه متكلف لا يدل على عاطفة!! ونحن نسأل: من يكون هذا الشاعر الواحد الذي صدر عنه ذلك الشعر...

والدكتور/ طه في الاستنتاج الثاني يفرض أن ذلك الشعر قد صدر عن أشخاص كثيرين ثم خلط بينه الرواة وأضافوه إلى المجنون. . ونحن نسأل هنا أيضاً: أليس هذا العمل من قبل الرواة دليلاً على وجود شخصية حقيقية للمجنون ينسبون إليها ذلك الشعر ومع هذا كله فإن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يمدنا بالدليل الصادق على وجود شخصية حقيقية للمجنون إلى جانب الرواية هو شعره - وهو الافتراض الثالث الذي أغفله طه حسين.

إن الذي يقرأ شعر المجنون قراءة عميقة فحواها الاستبطان والتأمل الدقيق للحالات النفسية التي يصفها كشاعر ويعبر عنها ليحس إحساساً لا يخامرهم شك بأن ذلك الشعر العاطفي الرقيق معبر عن عاطفة صادقة مشبوبة، وبأنه مرتبط بمواقف نفسية مفعمة بالحرارة والصدق وبأنه التجربة التي يصدر عنها تجربة معاناة حقيقية ومكابدة وحرمان، تجربة عنيفة قاسية لا بد أن تفيض بذلك الشعر الصادق الذي يصف حدودها وأبعادها ويصور كافة أحداثها ومواقفها.

إن ديوان الشعر الذي ينسب لمجنون ليلي حين نقرأه نحس بأننا أمام شعر يوحى للوهلة الأولى بصدق العاطفة وعمق التجربة، ولا يمكن أن يوحى بأي حالٍ من الأحوال بزيّف أو افتعال، وأن الذي قال هذا الشعر لم يعانِ تجربة حب حقيقية وعميقة وعنيفة أيضاً.

والدكتور/ طه حسين يقول: إننا لا نستطيع أن نجد للمجنون شخصية ظاهرة بينة في هذه الأشعار الكثيرة المختلفة التي يرويها له أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني وغيره من الرواة...

وهذه القضية وإن صدقت على غير المجنون من الشعراء العذريين فإنه لا يمكن أن تصدق على مجنون ليلي، ذلك لأننا لم نجد شاعراً تتضح شخصيته وتبرز معالم تجربته في شعره كما نجدها عند المجنون.

والذين يشتغلون بالدراسات النفسية أو الذين يميلون إلى جانب النقد النفسي يستطيعون أن يكشفوا بيسر الروابط المتينة بين شعر مجنون ليلي وشخصيته على ضوء ما تصور لنا هذه الشخصية الأخبار والروايات، فشعر المجنون يعبر عن رغباته الكامنة في اللاشعور وهو يعكس بجلاء صوراً صادقة من نفسه التي أرهقتها آلام الوجد ومرارة الحرمان، وكما يعكس الناحية النفسية فهو يمثل لنا - أي شعر المجنون - شخصية واضحة مستقلة يمكن لنا أن نميزها بسهولة ووضوح.

ومع ذلك كله فإننا نلتبس العذر لأستاذنا الدكتور طه حسين (رحمه الله) فيما ذهب إليه من شك وإن كنا لا نوافقه عليه، أما ذلك العذر فمردده إلى ذلك الخلط الواضح الذي يصادفه من تعقب أخبار هؤلاء الشعراء وأشعارهم.

فإننا نجد أحياناً أخباراً في قصة جميل/بثينة مرسومة في قصة مجنون ليلي، ونجد أبياتاً برمتها من شعر جميل بثينة مرسومة في قصيدة للمجنون أولعروة بن حزام هكذا.

وهذه الظاهرة من غير شك تتطلب قدراً من الحذر والحيلة في النظر إلى هذه الأخبار والأشعار وإن كان هذا لا ينبغي أن يقودنا جملة إلى إنكارها أو الشك فيها.

وفي ضوء هذه المناقشة السابقة حول وجود مجنون ليلي يمكن أن نقول إننا بصدد شخصية حقيقية عاشت حياتها في عناء ومكابدة صادقة عميقة، وانفقت عمرها في شتات وغربة، تستعذب الآلام في سبيل عاطفة نقية سامية تتسامى عن مألوف العلاقات البشرية وتتميز عنها بالطهر والتحرر من أغلال الشهوة والتعفف عن كل ما من شأنه أن يزرى بالقيم الرفيعة التي طبعت هذه العلاقة بطابع مثالي تتجلى فيه قدرة النفس البشرية على الفكاك من عبودية الجسد، والسمو بالعاطفة إلى مستوى لا يكون للقاء الجسد فيه مكان.

أشد على رغم الأعادي تصافيا	فلم أر مثلينا خليلي صباية
خليلين إلا يرجوان تلاقيا	خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى
بوصلك أو أن تعرضي في المنى ليا	وأني لاستحييك أن تعرض المنى

[بين يدي الديوان]

هذا الديوان الذي بين أيدينا ديوان في الغزل العذري ، وهو ذلك الغزل النقي الطاهر الذي ينسب إلى قبيلة بني عذرة العربية ، إحدى قبائل قضاة التي كانت تنزل منطقة وادي القرى شمالي الحجاز، ذلك أن فتيانها تميزوا بذلك الشعر حتى أطلق عليه أو على شعر عفيف يقتصر على شدة العواطف، لا تدنس أي لذات حسية في وصف المحبوبة^(١).

بعد ذلك انتشر ذلك الشعر ولم يقتصر على بني عذرة، بل امتد إلى قبائل نجد والحجاز؛ وخاصة بني عامر.

● ويرجع استاذنا الدكتور/ شوقي ضيف انتشار الشعر العذري بين تلك القبائل البدوية إلى الآتي :

أ - الطبيعة البدوية الصافية التي جاء الاسلام فرفعها ولطفها ونقاها.

(١) يحل لمؤرخي الأدب أن يقسموا الشعر في العصر الإسلامي إلى فترتين :

الأولى : صدر الإسلام : وتبدأ من ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين .

الثانية : العصر الأموي : وتبدأ من قيام الدولة الأموية سنة ٤١ هـ . إلى نهاية هذه الدولة سنة ١٣٢ هـ .

والفترة الثانية هي التي ظهر فيها الغزل العذري وفي مقابله الغزل الحضري (وهو الغزل الصريح) وكان من أهم عوامل ازدهاره :

أ - حياة الترف والرخاء التي عاش فيها الشعراء .

ب - شيوع الغناء في عواصم البلاد العربية .

ج - انصراف كثير من شعراء الحجاز عن المشاركة في السياسة منذ أن انتقلت عاصمة الخلافة إلى الشام مما حملهم على التفرغ لشعر الغزل والاهتمام به . ويمثل هذا النوع عمر بن أبي ربيعة .

أما الغزل العذري أو العفيف أو الغير مادي ، فهو الذي يقوم على العاطفة الصادقة والبعد عن ذكر محاسن المرأة ومفاتنها وساعد على ازدهاره من وجهة نظرنا :

أ - الفراغ الذي كان يعيشه الشعراء في البادية .

ب - الغيرة على المرأة والمحافظة على التقاليد البدوية .

ويمثل هذا اللون (جميل بن معمر) و (عروة بن حزام) و (مجنون ليلى) وغيرهم من الذين ذكرناهم .

ب - بُعِدَ تلك القبائل العربية عن ترف المدن وتحللها ومجتمعاتها الماجنة اللاهية .

● ويبلغ استاذنا الدكتور/ زكي مبارك فيلحق هذا الشعر بشعر التصوف ويحشر المجنون وأمثاله في زمرة المتصوفين! . . .

ومهما كان الأمر فقد ذاع وانتشر الشعر العذري وتناقلته الأفواه في أوائل عهد الدولة الأموية، فكان تنفيساً للمسلمين عن جو النزاعات السياسية والمؤامرات والدسائس، أو تكفيراً عن مجتمعات الشراب واللهو والمجون والشعراء الماجنين أمثال: عمر بن أبي ربيعة^(٢) والأحوص^(٣) وغيرهما . . . ومن أشهر شعراء الغزل العفيف:

- قيس بن ذريح ومعشوقته لبني الخزاعية .

- جميل بن مَعْمَر، ومعشوقته بشينة^(٤) .

- راوية جميل كثيرٌ ومعشوقته عزة .

- عروة بن حزام وصاحبته عفراء .

- الصِّمَّة القشيري وابنة عمه ربياً .

- عبد الرحمن الجشمي وهو من نساك مكة، وعشق سلامة حتى سماها الناس

(٢) عمر بن أبي ربيعة شاعر إسلامي اشتهر بالغزل الصريح، وهو من قبيلة مخزوم القرشية . ولد سنة ٢٣ هـ في العام الذي توفي فيه الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال الناس: (أي حق رفع، وأي باطل وضع) ونشأ في الحجاز مترفاً ميالاً إلى اللهو والغزل طيلة شبابه فلما تقدمت به السن انصرف عن ذلك وتوفي سنة ٩٣ هـ .

(٣) الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . وعاصم بن ثابت من الأنصار . ويقال إن عمر بن عبد العزيز نفاه من المدينة إلى قرية من قرى اليمن على ساحل البحر الأحمر لسلوكه الشائن .

راجع عنه: الأغاني (٤٧٠/١٤) و (٢٢٨/٤) و (٥١/٦) والمؤتلف والمختلف (٤٨)، والخزانة (٢٣١/١)، والسمط (٧٣)، وطبقات ابن سلام (٥٣٤)، والموشع (١٨٧)، وبروكلمان (١٩٦/١) .

(٤) جميل بن معدر من قبيلة «عذرة» التي اشتهرت بالحب العفيف، وجميل شاعر إسلامي من شعراء الغزل أحب (بشينة) ابنة عمه وقد أقام على حبها حتى مات وجعل شعره كله وقفاً عليها، وكان يريد الزواج بها ولكن تقاليد القبيلة كانت تمنع زواج الشاعر من الفتاة التي يتغزل بها، فزوجها أهلها غيره ولكنه ظل متعلقاً بها يذكرها في شعره فشكوه إلى الوالي فهدده بإهدار دمه حتى ضاقت به الحياة فرحل إلى الشام ثم إلى مصر حيث توفي بها سنة ٨٢ هـ .

سلامة القس . وكذلك ظهر شعر لمعشوقات يتغزلن بمعشوقيهن أو يبكين فقدهن مثل ليلي الأخيلية وشعرها في توبة بن الحمير .

● إذن ف شعر الغزل كان حقيقة واقعة لا جدال فيها ، وكان أصحابه أشخاصاً حقيقيين لم ينسجهم خيال الرواة ، ولكن الذي لا شك فيه أنه لفرط شعبية ذلك اللون من الشعر وكثرة تناول الألسن له نسج حوله ما ليس منه من روايات وعقد وصراعات مزعومة ونسب إلى شعرائه ما لم يقولوه لحبك القصيدة .

بل يذهب بعض مؤرخي الأدب العربي والشعر إلى أن بعض شعراء ذلك اللون الشعري لم يوجدوا على الإطلاق فصاحب (الأغاني) أبو الفرج الأصفهاني ينسب إلى الأصمعي قوله :

«رجلان ما عُرفا في الدنيا قط إلا بالاسم : مجنون بني عامر وابن القرية» .

وينسب إلى ابن الكلبي قوله :

«حدثت أن حديث المجنون وشعره وضعه فتى من بني أمية كان يهوى ابنة عم له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون ، وقال الأشعار التي يرويها الناس له ونسبها إليه» .

وللرد على هؤلاء أحيل القارئ المفضل إلى ما كتبناه آنفاً تحت عنوان (دفاعاً عن المجنون!!) .

والآن هيا بنا - عزيزي القارئ - نلتقي مع أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) [٤٦٧/٢] ليعرفنا بالمجنون أو قيس بن معاذ ، ويقال قيس بن الملوح ، أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة .

ولقبه المجنون لذهاب عقله بشدة عشقه .

وكان الأصمعي يقول :

لم يكن مجنوناً ، ولكن كان فيه لوثة كلوثه أبي حية . وهو من أشعر الناس ، على أنهم قد نحلوه شعراً رقيقاً يشبه شعره ، كقول أبي صخر الهذلي : -

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

● وكقول أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة :

بينما نحن من بلاكت بالقـ ع سراعاً والعيسُ تهوي هويـا

ويواصل ابن قتيبة حديثه فيقول إن المجنون وليلى صاحبه كانا يريان البهم وهما صبيان ، فعلقها علاقة الصبا ثم نشأ المجنون وكان يجلس معها ويتحدث في ناسٍ من قومه ، وكان ظريفاً جميلاً ، راوية للأشعار ، حلو الحديث ، فكانت تعرض عنه وتقبل على غيره بالحديث ، حتى شق ذلك عليه ، وعرفته منه ، فأقبلت عليه .

ثم تمادى به الأمر ، حتى ذهب عقله ، وهام مع الوحش ، فكان لا يلبس ثوباً إلا خرقة ، ولا يعقل شيئاً إلا تذكر له ليلي ، فإذا ذكرت ثاب وتحدث عنها لا يسقط حرفاً . فسعى عليهم نوفل بن مساحق (تابعي ، وكان قاضياً على المدينة ، وتوفي أيام عبد الملك بن مروان عام ٧٤ هـ وكان من أشرف قريش) ، فنزل مجمعاً من تلك المجامع ، فرآه عرياناً يلعب بالتراب ، فكساه ثوباً ، فقال له قائل : وهل تدري من هذا أصلحك الله ؟ قال لا . قال : هذا المجنون (قيس بن الملوح) ما يلبس الثياب ولا يريدھا ، فدعاه به فكلمه ، فجعل يجيبه عن غير ما يكلمه ، فقالوا له : إن أردت أن يكلمك كلاماً صحيحاً فاذكر له ليلي وسله عن حبه لها ، ففعل ، فأقبل عليه المجنون يحدثه بحديثها وينشده شعره فيها ، فقال له نوفل : الحب صيرك إلى ما أرى ؟ قال : نعم ، وسينتهي بي ما إلى ذلك سبيل !!

قال : انطلق معي حتى أقدم بك عليها فأخطب لك وأرغب لك في المهر قال : أفتراك فاعلاً ؟ قال : نعم ، قال : انظر ما تقول ! قال : على أن أفعل بك ذلك ، فارتحل معه ، ودعا له بثياب فلبسها المجنون ، وراح معه كأصح أصحابه ، يحدثه وينشده ، فبلغ ذلك قومها فتلقوه بالسلاح وقالوا له : والله يا بن مساحق ، لا يدخل المجنون منزلنا أبداً أو نموت !! وقد هدر السلطان دمه (الخليفة) ، فأقبل بهم وأدبر ، فأبوا ، فلما رأى ذلك قال للمجنون : انصرف ، قال المجنون : والله ما وفيت بالعهد ، قال انصرفك أيسر (أو رجوعك أهون) علي من سفك الدماء فانصرف ..

ثم يحدثنا ابن قتيبة بأمر ليلي وحبها المكتوم لقيس وسؤالها الدائم عنه كل من يمر بها وشعرها فيه .

ثم يذكر لنا ما أشار به الناس على والد المجنون بأن يخرج إلى مكة لعل الله يشفيه

ولكن ذلك العلاج لم يفلح . . . ولا يذكر ابن قتيبة خبر موت قيس بن الملوح أو مجنون ليلى العامرية ، ولكننا نفارق قيساً يهيم في الفلوات عرياناً مهزولاً زائغ النظرات .

[راجع ابن قتيبة في الشعر والشعراء / جـ ٢ الصفحات من (٤٦٧) إلى (٤٧٧)] .

أما المستشرق الكبير (كارل بروكلمان) فيقول في الفصل الثالث من الجزء الأول من تاريخ الأدب العربي : قيس بن الملوح مجنون بني عامر : قيل إنه توفي حوالي (٧٠ هـ) الموافق (٦٨٩ م) [ص ١٩٤] . ثم يأتي في [ص ٢٠٠] من نفس الكتاب فيقول : إن أخبار قيس ليست إلا حلقة من القصص الغرامية التي نسجت على منوال قصة حب جميل وبثينة الحقيقية بينما قيس وليلى لم يكونا إلا من أبناء الخيال .!!!^(٥)

ونهج طه حسين في كتابه (حديث الأربعاء) نهج المتشككين في حقيقة قيس بن الملوح ، وتبعه كذلك كثير من (الطحاسنة) [أنصار طه حسين وتلاميذه] وكثير من مؤرخي الأدب في العصر الحديث - وقد قمنا بالرد على د . طه ومن والاه في هذا الاتجاه .

ونعود إلى بروكلمان الذي يزودنا بمصادر ديوان مجنون ليلى وهي :

- في كمبريدج البريطانية أول ٤٢٨ .
- لا لى التركية ١٩٨٤ .
- أيا صفويا التركية ٣٧٨٨ طبعته ٢٤٦٩ .
- فيض الله ١٦٠١ (برواية أبي بكر الوالبي) .
- طبع ديوان المجنون في بولاق ١٢٨٥ هـ .
- طبع ديوان المجنون في القاهرة ١٢٩٤ هـ .
- ثم طبع في سنة ١٣٠٦ هـ .
- ثم طبع في سنة ١٣٤١ هـ .

* * *

(٥) يجدر بالذكر أن الأستاذ/ عبد اللطيف علي أبو حليمة كتب مقدمة طيبة لديوان مجنون ليلى استفدنا منها استفادة كبيرة فجزاه الله خيراً على جهده .

ويجدر بالذكر أيضاً أن ديوان مجنون ليلى له طبعة أخرجهها مطبعة البابي الحلبي (١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) ، وطبعة أخرى أخرجهها المطبعة الشرقية بدون تاريخ وقد استفدت منهما في إخراج هذا الديوان ، وقارنتهما بما ورد من اشعار مجنون ليلى في الأغاني والخزانة والمؤتلف ومعجم الشعراء والسمط وفوات الوفيات والشعر والشعراء .

ويستطيع القارئ أن يحصل على المعلومات المتعلقة بمجنون ليلى من المصادر التالية : -

- الأغاني : ١/١٦١ ، ٢/٥ .
- خزانة الأدب للبغدادى ١٦٩/٢ .
- المؤلف والمختلف للآمدي / ١٨٨ .
- معجم الشعراء للمرزباني / ٤٧٦ .
- السمط / ٣٥٠ .
- فوات الوفيات رقم ٣٥٦ .
- النسخة التي نشرها الأستاذ المرحوم / عبد الستار فراج لديوان مجنون ليلى .
- بروكلمان / ١٩٩ .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/٤٦٧ .

هكاية رجل اسمه «الوالي»!!

في أوائل عام ١٩٨٧م أعاد الأخ الفاضل/ أحمد علي حسن صاحب مكتبة الآداب بالقاهرة نشر طبعة قديمة لديوان مجنون الذي جمعه ورتبه الأديب العالم أبو بكر الوالي ولم يصف الناشر أي جديد فقد اكتفى بالتحقيق المدرس التقليدي الذي قام به الأستاذ/ عبد اللطيف علي أبو حليمة للديوان، وبالمقدمة التي كتبها لإحدى طبعات الديوان القديمة.

ولكن الجديد في طبعة الآداب القديمة أن الناشر كلف الصديق الدكتور/ عبد الرحيم يوسف الجمل المدرس بكلية التربية/ جامعة بورسعيد أن يكتب له تعريف «الوالي» راوي ديوان المجنون وجامعه ومرتب.

والصديق الدكتور/ الجمل كثيراً ما نتحاور معه حول بعض القضايا الأدبية والفكرية وقد حدثني في موضوع عزمه علم كتابة مقدمة لديوان المجنون يعرف فيها فقط بالوالي والوالي اسم في ذاكرتي كثيراً ما راودتني فكرة البحث عنه والتعريف به ولكن مشاغل الحياة حالت دون ذلك.

ومرت الأيام وصدرت طبعة الآداب لديوان المجنون وبها تعريف د. الجمل بالوالي وقد قرأتها واستفدت منها في هذا التقديم.

لقد حفل تراثنا العربي الخالد بالعديد من الشخصيات التي بخلت علينا كتب التراجم بمعلومات عنهم ومن هؤلاء الوالي.

ولا أكتف القارئ المفضل سراً إن قلت له إن التعرف على شخصية الوالي أمر أرهقني وأعياني، كذلك البحث عن أي مؤلفات له. ولكن يمكنني القول وأنا مطمئن تماماً أن جمع وترتيب ديوان المجنون هو العمل الوحيد المتواجد له وفقاً للواقع، اللهم إلا إذا جاء باحث أكثر منا كفاءة واجتهاداً ومثابرة واكتشفت ترجمة شافية للوالي أو مؤلفات أخرى له، هنا نشكره ونمتن له لأنه فتح طريقاً جديداً كان مقفلاً أمامنا.

في الفهرست لابن النديم (ص ٤٢٥) جملة من أسماء الكتب التي ألفها أصحابها

في سير العشاق من بينها كتاب (مجنون ليلي)، والمعروف أن ابن النديم انتهى من تأليف الفهرست في حوالي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وأوافق الدكتور/الجمال في أن الكتاب الذي جمعه الوالي هو المقصود في فهرست ابن النديم.

لأننا لم نعرف كتاباً مستقلاً عن المجنون وليلاه غيره في فترة ما قبل تأليف الفهرست.

واستاذنا المفضل (رحمه الله) عبد الستار أحمد فراج عندما جمع ديوان مجنون ليلي اعتمد على ما دونه أبو بكر الوالي وهذا دليل على أهمية هذه الرواية إلى حد تسجيل الأشعار المشكوك في نسبتها إلى المجنون ولكنها وردت في ثنايا الكتاب. ● أما شيخنا الوالي نفسه فقد اعتمد على روايات كثيرة نقلها في كتابه، وسنكتفي ببعضها والتي تعيننا في تحديد الفترة الزمنية التي عاشها الوالي.

الرواية الأولى

«حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: حدثنا نوفل بن مساحق» وأبو عمرو الشيباني كما نعلم لغوي كبير من نحاة الكوفة العراقية توفي سنة ٢١٠ هـ - وفي رواية أخرى ٢٠٦ هـ. وتدل الرواية المذكورة أن الوالي سمع أبا عمرو ولقيه في نهاية القرن الثاني الهجري أو في أوائل القرن الثالث الهجري.

الرواية الثانية

نقلها الوالي عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي المتوفى سنة ٢٢٥ هـ بقوله: «حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال...». ونرجح أن هذه الرواية كانت في بداية القرن الثالث الهجري.

الرواية الثالثة

عن الحسن بن سهل المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ذكر الوالي: قال الحسن بن سهل: أنشدني أحمد بن إسماعيل الكاتب لليلي العامرية».

وهذه الرواية سمعها الوالبي قبل أن يصاب الحسن بن سهل بمرض نفسي في عام ٢٠٣ هـ وتوفي على إثره.

* * *

والمراجع للكتاب الذي بين أيدينا (ديوان مجنون ليلى برواية الوالبي) يلاحظ أنه يخلو من ترتيب قوافيه. ومعنى ذلك أن رواياته التي جمعها الوالبي جمعها من خلال ما توافر لديه من معلومات وروايات فجاءت الروايات السابقة متأخرة عن الروايات الأخرى، وهذه دلالة على وصولها إليه متأخرة فأوردها في كتابه حسب وصولها إليه في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الهجري.

ولهذا نوافق الدكتور/ الجمل في خلافه مع ما ذكره الاستاذ/ عبد الستار أحمد فراج من أن الوالبي كان من رجال أواخر القرن الثاني الهجري.

فبناءً على الروايات السابقة يحق لنا أن نتوسع قليلاً ونرجح أن الوالبي كان حياً في أوائل القرن الثالث الهجري، ذلك القرن الذي كان يزخر بالعديد من الشخصيات الأدبية، وقد ضاع ذكر بعضهم ومن بينهم الوالبي نفسه.

ولكن بالبحث والتقصي وجدت الوالبي مذكوراً في كتابين.

الكتاب الأول:

كتاب الأمالي لأبي علي القالي (الجزء الثاني/ ص ١٤٢)، «قال وأخبرني عبد الله بن خلف، قال أخبرني أحمد بن زهير، قال أخبرني مصعب بن عبد الله الزبيري، عن بعض أهله، عن أبي بكر الوالبي».

الكتاب الثاني:

كتاب (بسط المسامر في أخبار مجنون بني عامر/ لمحمد بن طولون الدمشقي المتوفى (٩٥٣ هـ). [ص ٣٩].

«حدثنا التنوخي، حدثنا ابن حيويه، حدثنا ابن المرزبان، حدثنا محمد بن خلف، أخبرني أبو بكر العامري عن عبد الله بن أبي كريم عن أبي عمرو الشيباني عن أبي بكر الوالبي».

● وهاتان الروايتان تدلان على معرفة رجال السند بالوالبي الأديب العالم أو الكاتب الراوية، وكان من الممكن جداً أن نجد المزيد من هذه المعلومات لولا ضياع

وفقد، الآلاف من المخطوطات العربية والإسلامية إبان الغزو المغولي للبلاد العربية والغزو الاستعماري للبلاد الإسلامية بعد ذلك .

أضف إلى ذلك ما تعرضت له وتعرض مخطوطاتنا من نهب وسرقة وتهريب في وضح النهار وفي غيبة من رقابة أولي الأمر، والنشاط المكثف لمافيا التراث الذي لا يهدأ ونحن في غفلة لا نعرف مداها^(١) .

وقد تمدنا المخطوطات المحفوظة في دهاليز ومخازن المكتبات ونحن نجهلها - فالمعرفة الشخصية لها حدود وليس من المعقول أن يعرف الإنسان كل شيء - بالمعلومات عن شخصيات أدبية ما زالت مجهولة علينا ومن بينهم الوالي نفسه الذي نرجح أن وفاته كانت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري - والله أعلم ورسوله .

(١) راجع التعريف بالوالي الذي كتبه الأخ الصديق الدكتور عبد الرحيم يوسف الجمل بطبعة الآداب المصرية لديوان مجنون ليلي للوالي (الصفحات من ج إلى و) .

**ديوان مجنون
ليطلى
برواية الوالبي**

[نص الديوان]

بسم الله الرحمن الرحيم [المقدمة]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين .

[الاختلاف في اسم المجنون]

قال أبو بكر الوالبي : اختلف في اسم مجنون بني عامر^(١) : هل هو عامر^(٢) أو مهدي أو الأقرع أو معاذ أو قيس ابنه أو ابن الملوّح أو البحتري بن الجعد؟ والصحيح الأول . وفي نسبه : هل هو عامري أو كلابي أو جعدي أو قشيري ، أو المجانين متعددة ، أو هما اثنان في بني عامر؟ والصحيح الأول^(٣) .

(١) في نسخة (اختلف في اسم المجنون) .

(٢) في نسخة (هل هو قيس) بدلاً من (هل هو عامر) .

(٣) والصحيح في رأينا أنه قيس بن معاذ ، أو قيس بن الملوّح أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعّعة ، ويقال بل هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة . وفي رأينا أيضاً أن المجنون شخصية واحدة .

[بداية الحب]

وكان من حديثه : أنه كان صغيراً ، وليلى^(٤) وهي ابنة عمه كانت صغيرة أيضاً ، فكانا يجتمعان في بهم (أي أغنام لهما)^(٥) يتحدثان وهما صغيران ، فلما شبا وكبرا جعل حبهما يزيد وينمو كل يوم وساعة .

● قال : وكانت ليلي بصيرة بالشعر والأدب ووقائع العرب في الجاهلية والإسلام ، وكان فتیان بني عامر يجلسون إلى ليلي ويتناشدون عندها الأشعار ، وكان قيس فيمن يجلسون إليها ، فلم يكن في بني عامر فتى أحب إليها ولا أكرم عليها منه ، حتى إذا بدت حاجة لفتى في بني عامر إلى ليلي توسل بالمجنون إليها ، فلم يزالا كذلك برهة من الدهر حتى فشا أمرهما وارتاب بهما قومهما ، فلما كان ذات يوم سألهما قيس حاجة لنفسه ، لينظر هل له في قلبها مثل الذي في قلبه لها ، فمنعته حاجته ، فاغرورقت عيناه لمنعها إياه حاجته فأنشأ يقول^(٦) :

(٤) ليلي العامرية اسمها ليلي بنت سعد بن مهدي بن ربيعة بن الجريس بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وكنيتها أم مالك كما جاء في شعر المجنون نفسه (راجع الأغاني ٥/٢) .

(٥) الصحيح أن البهم جمع بهمة وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز .

(٦) يقال إن ليلي وقير تعارفا وهما صبيان حينما كانا يذهبان لرعي البهم والماشية عند جبل يقال له (جبل الثوبان) ثم ظلا كذلك حتى نمت عواطفهما الطاهرة البريئة وترعرعت . وهناك رأي آخر يقول : إن قيساً مر يوماً بفتيات فسلم عليهن فبادلته السلام ودعونه للحديث فنزل عن مطيته وتحدث إليهن وعقر لهن ناقته .

وفي المساء أقبل فتى آخر فشغلن به عن قيس فاغضبه ذلك وقال شعراً .

فلما أصبح تعرض لهن فلم يجدهن ولكن وجد ليلي فدعته إلى الحديث فاستجاب وصنع لها مثل ما صنع مع صويحاتها بالأمس ، فأظهرت ليلي إعراضها عنه فأصابه لذلك هم شديد ، فما كان من ليلي إلا أن رفقت به وأعلنت له حبها في شعر لم يكذب يسمعه حتى خر مغشياً عليه .

واعتقد إن هذه الرواية متأثرة إلى حد كبير وبالأذات في موضوع عقر الناقيتين بما روي عن امرئ القيس الشاعر الجاهلي وقصته مع ابنة عمه (عنيزة) في يوم دارة جلجل وعقره للعذارى مطيته وإذا ذبح امرؤ القيس مطية أو أكثر فالأمر بالنسبة له سهل ميسور لأنه ابن ملك وعلى قدر كبير من الغنى ولكن شاعرنا

فهل لي إلى ليلي الغداة شفيعُ
من الأهل والمال التليد نزيعُ
أبتُ كبدي مما أجنُ صديع^(٨)
ويُشعب من كسر الزجاج صُدوع^(٩)
وقالوا تبوع للضلال مطيعُ
يؤرقني والعاذلات هُجوع

مضى زمن والناس يستشفعون بي
يُضعفني حيي^(٧)ك حتى كأنني
إذا ما لحاني العاذلات بحبها
مدى الدهر أو يندى الصفا من متونه
وحتى دعاني الناس أحمقاً مائثاً^(١٠)
وكيف أطيع العاذلات وحبها

وقال أيضاً:

ولم يبد للأتراب^(١١) من ثديها حجمُ
إلى اليوم لم تكبر^(١٢) ولم تكبر البهمُ

تعلقتُ ليلي وهي غرٌ صغيرة
صغيرين نرعى البهمُ يا ليت أننا

المجنون رجل فقير محدود الإمكانيات فمن أين له بالناقين كي يذبهما؟!

وليس من المعقول أن يحب ليلي من أول نظرة، فتظهر له إعراضها فيصاب بهم شديد، فتقول له شعراً فيخر مغشياً عليه!!!

الرواية الثالثة أو الرأي الثالث يحاول أن يصور قيس بن الملوح بصورة حيوانية حيث تذكر أنه كان شديد الولع بالنساء، وإن ليلي العامرية كانت أجمل وأملح النساء في حبيها وإن رفيقاتها كن يقصدنها ويجلسن إليها ويسمرن معها فتراعى خبر ذلك إلى قيس فسعى بها وضم نفسه إلى مجلسها فكان من أمره معها ما كان.

ونحن لا نمانع أن تكون ليلي جميلة، وأن تكون بصيرة بالأدب والشعر ووقائع العرب في الجاهلية والإسلام، وكان فتيان بني عامر يجلسون إلى ليلي ويتناشدون عندها الأشعار، وكان قيس فيمن يجلسون إليها، ولم يكن في بني عامر فتى أحب إليها ولا أكرم عليها منه.

نحن لا نمانع في كل ذلك ولكن أن يصور قيس بأنه زير نساء ولوع بالمرأة فالغزاة الأولى لأشعاره تجعلنا نعرف أن الرجل يعرف الحب الصادق والعاطفة الجياشة النبيلة، يعيش ليلي عشقاً فيه السمو والنقاء، يجعلنا ذلك نؤكد أن الرجل لم يكن حيواناً أو شهوانياً بأي حال من الأحوال.

(٧) حيي^(٧): أي حيي لك، التليد: الموروث، نزيع: خال.

(٨) لحاني: لامي العاذلات بحب ليلي، أجنُ (بضم الهمزة، وكسر الجيم، وضم النون وتشديدها) أخفي، وصديع: على وزن فاعيل، من صدع بالحق إذا تكلم به.

(٩) الدهر هو الزمن، والصفاء: جمع صفاء وهي الصخر أو موضع في مكة المكرمة، ويندى: يجود أو يسخر، ويشعب: يفرق.

(١٠) مائثاً: اسم فاعل من مَاق وهو الفواق وسط شدة النشيج.

(١١) الأتراب: الأصدقاء والأصحاب والمعنى: تعلقتا وهي ما تزال صغيرة.

(١٢) في نسخة (إلي اليوم تكبر ولم تكبر البهم) والصواب المقبول (لم تكبر ولم تكبر البهم) وهو ما أثبتناه في الأبيات.

فأجابته ليلي وهي باكية لما سمعت شعره:

وكلُّ مظهرٍ للناس بُغضاً وكلُّ عند صاحبه مَكِينُ
تَخَبَّرْنَا العيونُ بما أردنا وفي القلبين ثمَّ هوى دفين^(١٣)

(١٣) أورد الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني قصة هذين البيتين وخلاصتها أن ليلي أرادت أن تختبر حب قيس لها فأظهرت اهتمامها آخر، فامتنع لون قيس واغشي عليه فعرفت بحبه المكتوم، وقالت البيتين تؤكد له حبها أيضاً. ومعنى ذلك أن الحب لم يكن من طرف واحد كما يزعم بعض الباحثين.

[الإغناء حياً]

فلما سمع مقالتها^(١٤) خر مغشياً عليه^(١٥)، فلما أفاق^(١٦) قال:

صريعٌ من الحب المبرِّحِ والهوى وأيُّ فتىٍّ من عِلَّةِ الحبِّ يسلمُ^(١٧)

ففطن جلساؤه عند ذلك فأخبروا أباهَا، فحجبوها عنه وعن سائر الناس، وقدموه إلى السلطان فأهدر السلطان دمه إن هوزارها.

فلما حجبت^(١٨) عنه أنشأ يقول:

ألا حُجبت ليلى وآلى أميرها	عليّ يميناُ جاهلاً لا أزورها
وأوعدني فيها رجالٌ أبوهم	أبي وأبوها خُشت لي صدورُها
على غير شيءٍ غيرَ أني أحبها	وأن فؤادي عند ليلي أسيرها
وإني إذا حنَّ إلى الإلف إلْفها	هفا بفؤادي حيث حنَّ سَحورها

(١٤) سمع البيتين السابقين.

(١٥) سقط في حالة إغماء شديدة.

(١٦) فلما انتبه وأفاق من الإغماء.

(١٧) قتل بسبب الحب الشديد الذي يملك أقطار نفسه، ويسأل قيس، وأي فتى من الفتيان خالٍ من علة الحب، سالم منه.

(١٨) التقاليد العربية ترفض بشدة أن يأتي شاعر أو محب بسيرة محبوبته قبل أن يتزوج بها.

وعلم جلساء ليلي وقيس ما بينهما من حب نقي طاهر، فأخبروا أهلها فمنعوها الخروج عنه وعن سائر الناس، وقدموا أمره إلى السلطان الذي أهدر دمه إن هوزارها. أو اقترَب من حبها.

[المهدي يرفض]

ثم إنه لما اشتهر بحبها وابتلي ، قام أبوه وإخوته وبنو عمه وأهل بيته فأتوا أبا ليلي وسألوه بالرحم والقربة والحق العظيم أن يزوجها منه ، وأخبروه أنه ابتلي بها . فأبى أبو ليلي ولج وحلف وقال : والله لا حدثت العربُ أني زوجت عاشقاً مجنوناً . فأقبل الناس إلى أبي المجنون وقالوا له : لو أخرجته إلى مكة فعودته بيت الله الحرام لعل الله يعافيه مما ابتلي ! . فأخرجه أبوه إلى مكة وهما راكبان جملاً في محمل ، فلما قدما مكة قال له أبوه : «يا قيس ! تعلق بأستار الكعبة» ففعل ، فقال : قل اللهم أرحني من ليلي وحبها ، فقال : «اللهم من علي بليلى وقربها» فضربه أبوه^(١٩) ، فأنشأ يقول :

يا رب إنك ذو منٍّ ومغفرة	بيتٌ بعافيةٍ ليلَ المحبينا
الذاكرين الهوى من بعدما رقدوا	الساقطين على الأيدي المُكبينَا
يا رب لا تسلبني ^(٢٠) حبها أبداً	ويرحم الله عبداً قال آمينَا

وقال أيضاً :

دعا المحرّمون الله يستغفرونه	بمكةً شعثاً كي تمحى ذنوبها ^(٢١)
وناديتُ يا رحمنُ! أوّلُ سؤلتي	لنفسِي ليلي ثم أنت حسيبها
وإن أعطَ ليلي في حياتي لم يتب	إلى الله عبداً توبةً لا أتوبها
يقرّ بعيني قربها ويزيدني	بها عجباً من كان عندي يعيها

(١٩) شاع أمر قصة الحب بين ليلي وقيس ، فقام أهل قيس بزيارة المهدي والد ليلي وسألوه بصلة الرحم والقربة أن يزوج قيس من ليلي ، ولكن والد ليلي أصرّ على موقفه .
واقترح الناس على والد المجنون أن يصحبه إلى زيارة بيت الله الحرام لعل المولى سبحانه يعافيه ، وتعلق قيس بأستار الكعبة طالباً من الله أن يمن عليه بليلى ويقربها له ، ولكن الأب ضربه على صدره قائلاً له : قل اللهم أرحني من ليلي وحبها .

(٢٠) في نسخة «لا تسلبني» وهناك في الوزن .

(٢١) في نسخة «كي تمحاهن ذنوبها» وهناك في الوزن .

وكم قائلٍ قد قال تب فعصيته
وما هجرتك النفسُ يا ليلُ أنها
فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فاعلمي

وتلك لعمري خلةٌ لا أصيها
قلتك ولكن قل منك نصيها
بأول نفسٍ غاب عنها حبيها

[باسم ليلى]

فلما سمع أبوه هذه الأبيات رق له ، فأخذه بيده نحو منى يريد رمي الجمار ، فبينما هو بمنى إذ سمع منادياً ينادي من بعض تلك الخيام «يا ليلى» ، فخر مغشياً عليه ، واجتمع عليه قومه ، وأبوه باك حزين ، فأفاق وهو مصفر اللون وأنشأ يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى	فهيج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما	أطار بلي طائراً كان في صدري
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه	وليلى بأرض الشام في بلد قفر
عرضت على قلبي العزاء فقال لي	من الآن فاجزع لا تمل من الصبر
إذا بان من تهوى وشط به النوى	ففرقة من تهوى أحر من الجمر

[نار الأسى]

وقال :

أيا ليلَ زَندَ البينِ يقدَحُ في صدري (٢٢)
أبى حَدَثانَ الدهرِ إلا تشَتَّأَ
تَعَزَّ فإنَّ الدهرَ يجرحُ في الصفا
وإني إذا ما أعورَ الدمعُ أهله
فوالله ما أنسالكِ ما هبَّت الصبا
وما نطقْتُ بالليلِ سارية القطا
وما لاح نجمٌ في السماء وما بكت
وما طلعت شمسٌ لدى كلِّ شارقٍ
وما اغطوطش الغريبَ واسودَّ لونه
وما حملتُ أنثى وما خبَّ ذعلبٌ
وما زحفتُ تحت الرحالِ بركبها
فلا تحسبي يا ليلَ أني نسيْتُكم
أيكي الحمامُ الورقَ مِن فقدِ إلفه
فأقسمُ لا أنسالكِ ما ذرَّ شارق

ونار الأسى ترمي فؤادي بالجمر
وأبى هوى يبقَى على حدَث الدهر
ويقدَحُ بالعصرينِ في الجبلِ الوعر
فزعتُ إلى دلحاءٍ دائمة القطر (٢٣)
وما ناحَت الأطيَّار في وضح الفجر (٢٤)
وما صدحتُ في الصبحِ غادية الكدر (٢٥)
مطوَّقةٌ شجواً على فنِّ السِّدر (٢٦)
وما هطلت عينٌ على واضح النحر
وما مرَّ طولُ الدهرِ ذكركُ في صدري (٢٧)
وما طفحَ الأذى في لجج البحر (٢٨)
قلاص تؤمُّ البيتَ في البلدِ القفر (٢٩)
وأن لستَ مِنِّي حيثَ كنتَ على ذكر
وتسلو ومالي عن ألفتي من صبر
وما خبَّ آلٌ في معلِّمة قفر (٣٠)

(٢٢) شبه قيس الفراق بحجرٍ يقدح بألة فينطير الشرر منه.

(٢٣) الدلحاء هي السحابة دائمة القطر، دائمة المطر، وهي كناية عن عينه الدامعة دائماً.

(٢٤) الصبا: هي ريح تهب من جهة الشمال، وضح: ضوء.

(٢٥) سارية القطا: الطير المسافر بالليل، غادية الكدر: الطيور الملونة الآتية في الصباح الباكر.

(٢٦) المطوقة: الحمامة، فنن: الغصن، السدر: شجر البق.

(٢٧) اغطوطش: اشتد سواده، الغريب: هو الغراب الشديد السواد.

(٢٨) خب: سار سيراً، ذعلب: الناقة، الأذى: موج البحر.

(٢٩) قلاص: جمع قلوص وهي الناقة، تؤم: تقصد، البيت يعني بيت الله الحرام، البلد القفر: مكة المكرمة.

(٣٠) ذر: تفرق وانتشر، شارق: أي الشمس، خب: سار، آل: سراب، معلمة قفر: صحراء قاحلة جرداء.

ألا ليت شعري هل أبيتُ ليلةً أناجيكم حتى أرى غُرَّةَ الفجر
لقد حملتُ أيدي الزمانِ مطيتي على مركبٍ مستعطلِ الناب والظفر^(٣١)
فلما سمع أبوه هذه الأبيات أخذ بيده إلى محفل من الناس.

(٣١) كأنما الزمان يسوق مجنون ليلي، وكأنه ناقة تساق، مستعطل الناب والظفر: ليس له ناب ولا ظفر.

[هوى ليلي]

❶ فسألهم أن يدعوا الله تعالى له بالفرج ، فلما أخذ الناس في الدعاء أنشأ يقول :

ذكرتك والحجيج لهم ضجيجُ	بمكة والقلوب لها وجيبُ
فقلتُ ونحن في بلدٍ حرام	به لله أخلصت السقوب
أتوب إليك يا رحمنُ مما	عملتُ فقد تظاهرت الذنوب
فأما من هوى ليلي وتركِي	زارتها فإني لا أتوب
وكيف وعندها قلبي زهينُ	أتوب إليك منها أو أنيب

[الحب قاتل]

وعن أبي مسكين قال : خرج رجل منا حتى إذا كان بموضع يقال له بئر ميمون ، إذ هو بجماعة في ذرى جبل ، وإذا فتى قد تعلقوا به كأحسن ما يكون من الرجال وأجملهم يريد أن يرمي بنفسه من أعلى الجبل غير أنه مصفر اللون ناحل البدن وهو يقول :

لقد همَّ قيس أن يزجَّ بنفسه	ويرمي بها من ذروة الجبل الصعب
فلا غرو أن الحبَّ للمرء قاتلُ	يُقلبه ما شاء جنباً إلى جنب
أناخ هوى ليلي به فأذابه ^(٣٢)	ومن ذا يطيق الصبرَ عن محمل الحب
فيسقيه كأس الموت قبل أوانه	ويُورده قبل الممات إلى التراب

(٣٢) أناخ هوى ليلي : شبه المجنون هوى ليلي العامرية بناقة جثمت على صدره .
وفي نسخة «فإذا به» والصبوب ما أثبتناه .

[أرض نجد]

● قال : فسألت عنه فقيل هذا مجنون بني عامر أخرجه أبوه إلى هذا الجبل يستقبل الريح التي تهب من ناحية نجد، ويكره أن يخليه فيرمي بنفسه من الجبل، فلو شئت دنوت منه فأخبرته أنك قدمت من ناحية نجد، فتقدم إليه فلعله ينزل من الجبل، قلت نعم، فدنوت منه، فقالوا يا أبا المهدي هذا رجل قدم من ناحية نجد، قال فتنفس الصعداء حتى ظننت أن كبده تصدعت، ثم جلس يسألني عنها وعن بلاد نجد، فأقبلت أحدثه وأصف له، وهو يبكي أشد بكاء وأوجعه للقلب، ويقول:

ألا حبذا نجدٌ وطيبُ ترابها	وأرواحها إن كان نجد على العهد
ألا ليت شعري عن عوِرضتي قُبا	لِطولِ التناثي هل تَغَيَّرتا بَعدي ^(٣٣)
وعن أقحوان الرمل ما هو فاعلٌ	إذا هو أمسى ليلةً بشرى جَعْد ^(٣٤)
وعن جارتيْنا بالبتيل إلى الحمى	على عهدنا أم لم تدوما على عهد ^(٣٥)
وعن علويّات الرياح إذا جرت	بريح الخزامى ^(٣٦) هل تَهَبُ إلى نجد
وهل تُنفِضُ الرِّيحُ أفنان لِمَتي	على لاحقِ الإطلين منذلقِ الوُخد ^(٣٧)
وهل أسمعُ الدهرَ أصوات هجمةٍ	تُطالع مِن وهْدٍ خصيب إلى وهْد ^(٣٨)

(٣٣) (عويرضتي) : عوارضة وقبا اسنان لجبلين لبني فزارة (راجع الأغاني).

(٣٤) الأقحوان : البابونج وهو نبات طيب الرائحة، ورقه أبيض ووسطه أصفر، ثرى جعد : تراب ند.

(٣٥) التيل : اسم جبل في نجد، وتدوما : في نسخة «يدوما».

(٣٦) علويات الرياح : الرياح التي تهب من العالية وهو اسم لموضع بين نجد وتهامة.

(٣٧) اللمة بالكسر : الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن، لاحق الإطلين : ضامر، المتنان : جنب الظهر، وهي

كناية عن الخيل العربي الأصيل، منذلق الوخد : أي سريع واسع الخطى يقال جمل وأخذ أي رسع الخطأ.

(٣٨) في نسخة «هجمة»، والهجمة : العدد الكبير من الإبل يسير معاً، وهْد : الأرض السهلة.

[بعد النساء]

❶ قال : فأقبل أبوه بعد أن قضى نسكه يريد أهله ، فلما قدم جمع أعمامه وأخواله فلاموه وعذلوه وقالوا « لا خير لك في ليلي ولا لها فيك ، وقد رُدَدنا عنها ، ولك في بنات عمك من خير لك منها ، فلو تزوجت واحدة منهن نرجو أن يزول عنك بعض ما يقلبك من حبها ، فأنشأ يقول :

لقد لامني في حب ليلي أقاربٌ	أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا(٣٩)
يقولون ليلي أهل بيت عداوة	بنفسي ليلي من عدو وماليا
أرى أهل ليلي لا يريدون بيعها	بشيء ولا أهلي يريدونها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا	وبالشوق والإبعاد منها قضى ليا
قسمت الهوى نصفين بيني وبينها	فنصف لها هذا لهذا وذا ليا
ألا يا حمامات العراق أعنني	على شجني وابكين مثل بكائيا
يقولون ليلي بالعراق مريضة	فياليتني كنت الطيب المداويا
فشاب بنو ليلي وشاب ابن بنتها	وحرقه ليلي في الفؤاد كما هيا
علي لئن لاقيت ليلي بخلوة	زيارة بيت الله رجلاي حافياً(٤٠)
فيا رب قد صيرت ليلي هي المنا	فزني بعينها كما زنتها ليا
وإلا فبغضها إلي وأهلها	فإن بليلى قد لقيت الدواهيا
يلومون قيساً بعدما شفه الهوى	وبات يراعي النجم حيران باكياً
فيا عجباً ممن يلوم على الهوى	فتي دنفاً أمسى من الصبر عارياً(٤١)
ينادي الذي فوق السموات عرشه	ليكشف وجداً بين جنبه ثاويًا
بساحرة العينين كالشمس وجهها	يضيء سناها في الدجى متساميا

(٣٩) في نسخة «أقاربي» .

(٤٠) في نسخة «رجلان» بفتح الراء ، وتسكين الجيم ، وفتح النون - أي سائراً على الأقدام .

(٤١) دنفاً : مريضاً مرضاً ملازماً والفتى هو قيس الذي أمسى من الصبر عارياً أي نفذ صبره .

[سلام على ليلي]

قال : فلما سمعوا مقالته أسمعوه ما يكره فمر على وجهه آسياً مهموماً حزيناً متفكراً
في أمرها حتى منعه ذلك من الطعام والشراب ، وترك محادثة الناس وصار في حدٍ يرحمه
من رآه من عدو وصديق ، فقال :

ما بال قلبك يا مجنون قد هلعا	من حب من لا ترى في وصلها طمعا
الحب والعشق سيطرا من دمي لهما	فأصبحا في فؤادي نابتين معا ^(٤٢)
طوبى لمن أنت في الدنيا قريته	لقد نفى الله عنه الهم والجزعا
بل ما قرأت كتاباً منك يبلغني	إلا ترقرق ماء العين أو دمعاً
أدعو إلى هجرها قلبي فيتبعني	حتى إذا قلت هذا صادق نزعا
لا أستطيع نزوعاً عن مودتها	ويصنع الحب بي فوق الذي صنعا
كم من دنيء لها قد كنت أتبعه	ولو صحا ^(٤٣) القلب عنها كان لي تبعا
وزادني كلفاً في الحب أن مُنعت	أحب شيء إلى الإنسان ما مُنعا
أقر السلام على ليلي وحق لها	منى التحية إن الموت قد نزعا ^(٤٤)
أما أم هو حي في البلاد فقد	قل العزاء وأبدى القلب ما جزعا

(٤٢) سيطر : أي تكونا بامتزاجهما واختلاطهما .

(٤٣) في نسخة «لوصح القلب» والصواب ما أثبتناه .

(٤٤) في نسخة «أقرأ» بالالف والصواب «أقر السلام على ليلي» .

[إلى الواديين]

وقيل : كان المجنون بموضع يسمى الواديين وكان يجلس بينهما ويخلو في بيته، فخرج يوماً يريد هما، فلما صار قريباً من الواديين انشأ يقول :

ألا لا أرى وادي المياه يُثيب	ولا النفس عن وادي المياه تطيبُ
أحب هبوط الواديين وإنني	لمشتهر بالواديين غريب
أحقاً عبادة الله أن لستُ وارداً	ولا صادراً إلا عليّ رقيب
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة	من الناس إلا قيل أنت مُريب
وهل رية في أن تحن نجيبه	إلى إلفها أو أن يحن نجيب ^(٤٥)
وإن الكتيب الفرد من جانب الحمى	إليّ وإن لم اته لحبيب ^(٤٦)
ولا خير في الدنيا إذا أنت لم تزر	حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

(٤٥) نجية : ناقة، والنجيب والنجية كناية واضحة عن قيس ومحبوته ليلي العامرية.

(٤٦) الكتيب على وزن فعيل وهو مجتمع الرمل، الحمى بكسر الحاء هو الجار أو كل ما يجب حمايته.

[إلى بابل]

وَذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ الْمَلُوحَ أَتَاهُ وَحَمَلَهُ إِلَى بَابِلَ لِيَعَالِجَهُ وَذَلِكَ قَبْلَ نَزُولِ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ
الْحُبِّ الشَّدِيدِ وَسُورَةِ الْعَشَقِ، فَحَمَلَهُ عَلَى نَاقَتِهِ، فَلَمَّا أَمْعَنَا فِي السَّيْرِ ذَكَرَ الْمَجْنُونُ
يَلِيلَى، فَلَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ قَالَ:

تَمَتَّعَ مِنْ دُرَى هَضْبَاتِ نَجْدٍ فَإِنَّكَ مَوْشَكٌ أَنْ لَا تَرَاهَا
أَوْدَعَهَا الْغَدَاةَ فَكَلَّ نَفْسٍ مَفَارِقَةً إِذَا بَلَغَتْ مَدَاهَا

قال: فبكى أبوه رحمة له وقال: يا بني هل لك أن تسلب بغيرها؟ فقال: والله ما أجد
إلى السلوس سبيلاً وإني لفي أعظم الكرب والبلاء، وأنشأ يقول:

وَكَمْ قَائِلٍ لِي أَسْلُو^(٤٧) عَنْهَا بِغَيْرِهَا وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الْوَشَاةِ عَجِيبٍ
فَقُلْتُ وَعَيْنِي تَسْتَهْلُ دَمُوعُهَا وَقَلْبِي بِأَكْنَافِ الْحَبِيبِ يَذُوبُ
لَنْ كَانَ لِي قَلْبٌ يَذُوبُ بِذِكْرِهَا وَقَلْبٌ بِأُخْرَى، إِنَّهَا لِقُلُوبِ
فِيَا لَيْلَى جُودِي بِالْوَصَالِ فَإِنِّي بِحَبِّكَ رَهْنٌ وَالْفُؤَادُ كَثِيبُ
لَعَلَّكَ أَنْ تُرَوِّى بُشْرِبَ عَلَى الْقَذَى وَتَرْضِي بِأَخْلَاقٍ لَهَا خُطُوبُ^(٤٨)
وَتَبْلِي وَصَالِ الْوَاصِلِينَ فَتَعْلَمِي خَلَائِقُ مَنْ يُصِفِي الْهَوَى وَيَشُوبُ
لَقَدْ شَفَّ هَذَا الْقَلْبُ أَنْ لَيْسَ بَارِحاً لَهُ شَجْنٌ مَا يُسْتَطَاعُ قَرِيبُ
فَلَا النَّفْسُ تَخْلِيهَا الْأَعَادِي فَتَشْتَفِي وَلَا النَّفْسُ عَمَّا لَا تَنَالُ تَطِيبُ
لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُثْنٌ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبُ
وَأَخِذْ مَا أَعْطَيْتَ صَفْوَاً وَإِنِّي لِأَزُورُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبُ^(٤٩)
فَلَا تَتْرَكِي نَفْسِي شَعَاعاً فَإِنَّهَا مِنْ الْوَجْدِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذُوبُ
وَأَلْقَى مِنَ الْحُبِّ الْمَبْرَحِ سَوْرَةً لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَيَّ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ

(٤٧) في نسخة وجدتها «اسل» فعل أمر وهو الأصح وقد تركنا «اسلو» لأنها رواية الوالبي.

(٤٨) شرب على القذى: أي شرب مرغماً.

(٤٩) أَرُورُ: منحرف مبتعد، هَيُوبُ على وزن فَعُول وهي صيغة مبالغة من الفعل (هاب).

[دعوني]

قال الوالبي : بلغني أنه دخل بابل واجتمع إليه المطبيون وأقبلوا يسقونه شربة بعد شربة ويكوونه، فلما أكثروا عليه أنشأ يقول :

دعوني دعوني قد أطلت عذايبا وأنضجتُ جلدي بِحَرِّ المكاويا
دعوني أُمْتُ غَمٍّ وَهَمٍّ وَكَرْبَةٍ أيا ويح قلبي مَنْ به مثل ما بيا
دعوني بغمي وانهدوا في كَلَاءَةٍ من الله قد أيقنْتُ أن لستُ باقيا^(٥٠)
... كَمْ بي لقيتُ مِنَ الهوى تباريحَ أبلتُ جِدَّتِي وشبايبا
براني شوقٌ لو برصوى لهذه ولو بشير صار رَمْساً وسافيا^(٥١)
سقي الله أَطلالاً بناحية الحمى وإن كنَّ قد أبدين للناس ما بيا
منازلٌ لو مرَّتْ عليها جنازتي لقال الصدى يا حامليَّ انزلا بيا
فأشهدُ بالرحمن من كان مؤمناً ومَنْ كان يرجو الله فهو دَعَا ليا^(٥٢)
لحا الله أقواماً يقولون إننا وَجدنا الهوى في النَّأيِ للصَّبِ شافيا^(٥٣)
فما بال قلبي هذه الشوقُ والهوى وأنضجَ حَرُّ البينِ مِنِّي فؤاديا
ألا ليت عيني قد رأت مَنْ رآكمُ لعلِّي أسلو ساعةً من هُياميا
وهيهات أن أسلو من الحزن والهوى وهذا قميصي مِنْ جَوَى البين باليا
فقلت نسيمَ الريح أدُّ تحيتي إليها وما قد حلَّ بي ودهانيا
فأشكرُهُ إني إلى ذاك شائق فيا ليت شعري هل يكون تلاقيا
معذبتني ! لولاكِ ما كنتُ هائماً أبيتُ سخينَ العين حَرَّانَ باكيا
معذبتني ! قد طال وَجدي وشفني هواكِ فيا للناس قَلَّ عزائيا

(٥٠) إنهدوا أي انهضوا واتركوني، كلاءة من الله : حفظ من الله .

(٥١) براني : سلاني ، رضوى : اسم جبل ، ثبير : اسم جبل ، رمساً : قبراً ، سافياً : تراباً .

(٥٢) في نسخة « فأشهدوا بالرحمن ... » والأقرب للصواب ما أثبتناه .

(٥٣) لحا الله أقواماً : دعاء ومعناه لعن الله أقواماً وهو دعاء مشهور عليهم ، النَّأيُ : البعد ، الصب : شديد الغرام .

مَعْدَبْتِي ! أوردتني منهل الردى
 خليلي هيا فاسعداني على البكا
 خليلي إني قد أرقّت ونمتما
 خليلي لو كنت الصحيح وكنتما
 خليلي مدا لي فراشي وارفعنا
 خليلي قد حانت وفاتي فاطلبنا
 وإن مت من داء الصبابة بلغنا

وأخلفت ظني واخترمت وصاليا^(٥٤)
 فقد جهدت نفسي وربّ المشانبا
 لبرق يمان فاجلسا علّانبا
 سقيمين لم أفعل كفعلكما بيا
 وسادي لعل النوم يذهب ما بيا
 لي النعش والأكفان واستغفرا ليا
 نتيجة ضوء الشمس مني سلاميا

(٥٤) يخاطب ليلي بأسلوب رقيق فيصفها بأنها معذبة التي أوردته منهل الهلاك، وأخلفت ظنه، واخترمت وصاله.

والمنهل : حوض الشرب.
 والردى : الموت أو الهلاك.
 واخترمت وصاليا : قطعت.

[من صحراء بني تميم]

وقال بعضهم : بينا أنا أدور في صحراء بني تميم إذ مررت بقانصين قد قنصا ظيباً وعقلاه، فوقفت أنظر إليهما، إذا أنا بـغلام قد أقبل كأن وجهه فلقة قمر عليه ضفيران تضربان خصره، فدنا منهما وتأمل الطيبي، ثم أرسل عينيه بالبكاء وهو يقول :

وَذَكَّرَنِي مَنْ لَا أَبُوحُ بِذِكْرِهِ مُحَاجِرٌ خَشَفَ فِي حَبَائِلِ قَانِصٍ^(٥٥)
فَقُلْتُ وَدَمْعُ الْعَيْنِ يَجْرِي بِحَرَقَةٍ وَلِحْظِي إِلَى عَيْنِهِ لِحْظَةً شَاخِصٍ
أَلَا أَيُّ هَذَا الْقَانِصُ الْخَشَفَ خَلَّهُ وَإِنْ كُنْتُ تَأْبَاهُ فَخُذْ بِقَلَائِصِي^(٥٦)
خَفِ اللَّهُ، لَا تَقْتُلْهُ إِنَّ شَبِيهَهُ حَيَاتِي وَقَدْ أَرَعَدَتْ مِنِّي فَرَائِصِي
[فوالله ما برح حتى اشتراه وخلقى سبيله].

(٥٥) المحاجر هي العيون، والخشف: ولد الغزال، والجبال هي شباك، والقانص: الصياد.

(٥٦) خله أي أطلق سراحه، وقلائص جمع على وزن فعائل، ومفردها القلوص وهي الشابة من النوق.

[قيس في منظور المشاق]

وقيل : دخل كثير بن عبد الرحمن على عبد الملك بن مروان وقد قعد للشرب ، فقال : يا كثير هل رأيت أعشَقَ منك؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : وكيف وأنت القائل :

رُكبانُ مكة والذين أراهم يبلون من حَرِّ الفؤاد مُموداً^(٥٧)
لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لَعَزَّةً رُكْعاً وسجوداً
الله يعلم لو أردت زيادةً في حب عزة ما وجدتُ مزيداً

قال : أخبرك يا أمير المؤمنين ، بينما أنا أسير في بعض البوادي في ساعة الهاجرة في يوم شديد الحر ، إدرفع لي شخص في مفازة ليس بها أنيس ، فذعرت منه ، ثم ملت إليه ، فإذا هو شاب حسن الوجه جعد الشعر فقلت : إنسي أنت أم جني؟ قال بل إنسي فقلت : ما أخرجك في هذه الساعة إلى هذه البرية؟ قال : نصبت شركاً للظباء . قلت - وقد قرمت^(٥٨) إلى اللحم يا أمير المؤمنين - : تجعل لي نصيباً إن أقمت عليك؟ قال نعم ونعمة عين ، فأقمت عنده حتى اقتنص ظبية كأحسن ما يكون من الظباء ، ثم قبض على قرننها وأقبل ينظر في محاسنها ويقول :

أيا شبه ليلى لا تُراعي فإنني لك اليوم من بين الوحوش صديقُ
ثم أطلقها وجعل ينظر في أثرها ويقول :

أقول وقد أطلقتها من وثاقها فأنت لليلي إن شكرت عتيق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق
وكاد بلادُ الله يا أم مالك بما رَحبت منكم عليّ تضيق^(٥٩)

(٥٧) قرأتها في نسخة من ديوان مجنون ليلى : «يكون من حرٍّ بدلاً من «يبلون من حرٍّ» . والهمود هو انطفاء وسكون .

(٥٨) قرمت إلى اللحم : اشتد اشتهائي إلى اللحم .

(٥٩) في الأغاني للأصفهاني :

تكداد بلاد الله يا أم مالك بما رحبت يوماً عليّ تضيق =

قال: ثم وقعت يا أمير المؤمنين ساعة، فإذا قد علقت أخرى فصنع بها ما صنع بالأولى ثم أطلقها وأنشأ يقول:

ألا يا شبه ليلي لا تراعي ولا تنسل^(٦٠) عن ورد التلاع
لقد أشبهتها إلا خللاً نشوز القرن أو خمش الكراع^(٦١)

فتعجبت يا أمير المؤمنين من صنعه، فما كان إلا هنيهة حتى علقت أخرى فأطلقها من وثاقها وجعل يبكي ويقول:

تروّح سالماً يا شبه ليلي قرير العين واستطب البقولا
فليلي أنقذتك من المنايا وفكت عن قوائمك الكبولا^(٦٢)

فعاظني يا أمير المؤمنين غيظاً شديداً وقلت في نفسي ستعلم، ثم مكثنا ساعة فعلقت أخرى فوثبت إليها فكسرت يدها طمعاً في لحمها، فبكى بكاء عالياً، ثم قال: ويحك ما دعاك إلى أن أفسدت موضعاً يوافقني وكنت ألفتة؟، ثم اغتفلني فأتى ماء كان قريباً منه فغمس فيه كساءه قبله، ثم أتى توبة فأطفأها، ثم قال أفسدت حالي. ما أراه إلا أنه مات.

فقال عبد الملك بن مروان فأين أنت من قولك حيث تقول:

أيا عزّ لو أشكو الذي قد أصابني إلى ميت في قبره لبكى ليا^(٦٣)
ويا عزّ لو أشكو الذي قد أصابني إلى راهب في ديريه لرثى ليا

بدلاً من:

وكاد بلأد . . . أم مائلك بما رحبت منكم عليّ تضيق

وأم مالك كنية ليلي العامرية محبوبة قيس بن الملوح وكثيراً ما كان يناديها بهذه الكنية.

(٦٠) تنسل من الفعل انسل بمعنى خرج، والتلاع على وزن الفعال، وهي جمع تلعة: ما ارتفع من الأرض وانخفض.

(٦١) خللاً: فعلاً جمع خلّة وهي الصفة، نشوز: بروز وارتفاع، خمش بمعنى خدش، والكراع هو في الغنم والبقر كالوظيف في الفرس والبعير. وهو مستدق الساق يذكر ويؤنث والجمع (أكراع) ثم (أكارع). وفي المثل: أعطي العبد (كرعاً) فطلب ذراعاً لأن الذراع في اليد وهو أفضل من الكراع في الرجل. و(الكراع) اسم يجمع الخيل. والفعل منها (كرع) في الماء تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء وبابه خضع، وفيه لغة أخرى من باب فهم.

(٦٢) قوائمك مفرداً (قائم) اسم فاعل، ومعناها سيقانك، والكبول على وزن فعول: جمع كبل وهو القيد.

(٦٣) (عز) مرخمة حذف منها حرف التاء المربوطة، والمقصود بها (عزة) محبوبة كثير بن عبد الرحمن الشاعر الأموي وشاعر الغزل العذري المعروف.

ويا عَزَّ لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي
ويا عَزَّ لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي
ويا عَزَّ لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي

قال: أشعر مني يا أمير المؤمنين الذي يقول:

إنَّ الظِّباءَ التي في الدُّورِ تُعْجِبُنِي
لَهُنَّ أَعْنَاقُ غَزْلَانٍ وَأَعْيُنُهَا
وَلِي فَوَادُ يُكَادُ الشَّوْقُ يَصْدَعُهُ
كَانَتْ كَذَرَّةَ بَحْرِ غَاصِ غَائِصُهَا
تلكَ الظِّباءَ التي لا تَأْكُلُ الشُّجْرَا
وَهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ أَبْدَانِهَا صُورَا
إِذَا تَذَكَّرَ مِنْ مَكْبُوتِهِ الذِّكْرَا
فَأَسْلَمَتْهَا يَدَاهُ بَعْدَ مَا قَدَّرَا

ويقول:

إِذَا نَظَرْتُ عَرَفْتُ الْجَيِّدَ مِنْهَا
كَرِهْنَا أَنْ نُفَزَّعَهَا فَقَلْنَا
وعَيْنُهَا وَلَمْ تَعْرِفْ سِوَاهَا
أَشَلَّ اللَّهُ كَفَّ مَنْ رَمَاهَا

قال فمن هذا؟ قلت: يا أمير المؤمنين هو الذي يقول في قصيدته:

وَكُنْتُ كَذَّبُاحَ الْعَصَافِيرِ دَائِباً
فَلَا تَنْظُرِي لَيْلَى إِلَى الْعَيْنِ وَانْظُرِي
وعَيْنَاهُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِنَ تَهْمَلُ (٦٤)
إِلَى الْكَفِّ مَاذَا بِالْعَصَافِيرِ تَفْعَلُ

قال: ويحك عساه المجنون؟ قلت: نعم، قال: فزدني من شعره، فقلت: قال:

لَوْ سَبَّلَ أَهْلُ الْهَوَى مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمْ
لَقَالَ صَادِقُهُمْ أَنَّ قَدْ بَلَى جَسَدِي
جَفَّتْ مَدَامُ عَيْنِ الْجَسَمِ حِينَ بَكَى
هَلْ فَرَجْتُ عَنْكُمْ مُدْمُتِمْ الْكُرْبُ
لَكِنْ نَارُ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ تَلْتَهَبُ
وَأَنْ بِالْدمْعِ عَيْنَ الرُّوحِ تَنْسَكِبُ

وقال:

أَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ وَحَاجَتِي
وَمَا نَظُرِي مِنْ نَحْوِ نَجْدٍ بِنَافِعِي
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ عِبْرَةٌ ثُمَّ نَظَرَةٌ
مَتَى يَسْتَرِيحُ الْقَلْبُ إِمَّا مُجَاوِرَ
خِيَامٍ بِنَجْدٍ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ
أَجَلٌ وَلَكِنِّي عَلَى ذَاكَ أَنْظُرُ
لِعَيْنِكَ يَجْرِي مَاؤُهَا يَتَحَدَّرُ
حَزِينٍ وَإِمَّا نَازِحٍ يَتَذَكَّرُ

(٦٤) تهمل أي تدمع.

لها الدهر دمع واكف يتحدر^(٦٥)
ولكنها نفس تذوب وتفطر

يقولون كم تجري مدامع عينه
وليس الذي يجري من العين ماؤها

وقال:

ما كان منك وحبكم شغلي
أن قد فهمت وعندكم عقلي

وشُغلت عن فهم الحديث سوى
وأُديم نحو محدثي ليرى

(٦٥) واكف أي غزير.

[جرير يتكلم]

وقال: واجتمع قوم على جرير بن الخطفي^(٦٦) فقال لهم جرير: ما بيت نصفه كأنه أعرابي على قعود، ونصفه كأنه جالينوس بحكمته؟ قالوا: لا ندري. قال: قد أجلتكم، قالوا: لو أجلتنا حولين لم ندر ولكن عرّفنا، فأنشأ يقول:

(ألا أيها النوم ويحكم هبوا) كلمة أعرابي على قعود له، ثم أدركه اللين ووضوح الحب فقال (أسائلكم هل يقتل الرجل الحب).

فقالوا: نعم حتى يرُضَّ عظامه ويتركه حيرانَ ليس له لب
فيا بعلَ ليلَى كيف يجمع شملنا لديّ وفيما بيننا شُبَّت الحربُ
لها مثل ذنبي اليوم إن كنت مذنباً ولا ذنب لي إن كان ليس لها ذنب

إلى الإلمام بها، فنزلت في أرجاء تلك الأواهير المونقة والأنوار البديعة المورقة. وأنخت ناقتي إلى قنوان^(٦٧) شجرة صغيرة وجلست هنيهة، فبينما أنا كذلك إذ سقط رجل من جرّاد^(٦٨)، فافتрشت جنباتها وأخذت طولها وعرضها، فظللت متعجباً مما أرى ثم رميت نظري في نواحيها فإذا أنا بشخص أقبل ما على جسده غير شعر منسدل على صدره، وزغبات على عكته^(٦٩)، فراعني منظره واستطار قلبي خوفاً ووجلاً، وخشيت أن أكون على شرف الهلاك، وما شككت أنه شيطان مارد فلما دنا مني أنشأ يقول:

(٦٦) هو جرير بن عطية من قبيلة يربوع وهي فرع من مضر، كان مولده في اليمامة وهي مدينة الرياض السعودية الآن، ولد في خلافة ذي النورين عثمان بن عفان الخليفة الراشدي الثالث. نشأ جرير فقيراً يرعى الغنم، ولكنه كان موهوباً في الشعر الذي ورثه - كما يقال - عن أبيه وجده. وقد ظهر في عصر سياسي وأدبي فاشتعلت عبقريته وصار في الصفوف الأولى من شعراء ذلك العصر، واتصل بالحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بين أمية، وعن طريقه مدح خلفاء بني أمية ونال جوائزهم، وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ. وجرير من شعراء النقاظص، وهو خصم الفرزدق اللدود.

(٦٧) قنوان، مفردها قنن، ومعناها فروع.

(٦٨) رحل من جرّاد: سرب من جرّاد.

(٦٩) زغبات: الزغب بفتحتيْن الشعريرات.

والعكن جمع عكنة وهي الطية من البطن.

حُبُّ إِيْنَا بِكَ يَا جِرَادُ

أَرْضُ وَإِنْ جَاعَتْ بِكَ الْأَكْبَادُ وضَاقَتِ الْأَصْدَارُ وَالْأَوْرَادُ
وَلَمْ يَكُنْ قَبْلُ لَنَا عِتَادُ وَلَا لِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ زَادُ

فَقُلْتُ: إِنْسِي أَنْتَ أَمْ جَنِي؟ فَأَنْشَأُ يَقُولُ:

إِلَيْكَ عَنِي فَإِنِّي هَائِمٌ وَصِيبُ أَمَا تَرَى الْجِسْمَ قَدْ أَوْدَى بِهِ الْعَطْبُ^(٧٠)
لِلَّهِ قَلْبِي مَاذَا قَدْ أَتَيْحَ لَهُ حَرُّ الصَّبَابَةِ وَالْأَوْجَاعِ وَالْوَصْبُ
ضَاقَتْ عَلَيَّ بِلَادُ اللَّهِ مَا رَحِبْتُ يَا لِلرِّجَالِ فَهَلْ فِي الْأَرْضِ مَطْرَبُ^(٧١)
الْبَيْنُ يُؤْلَمُنِي وَالشُّوقُ يَجْرَحُنِي وَالْدَارُ نَازِحَةٌ وَالشَّمْلُ مَنشَعِبُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى لَيْلَى وَقَدْ حُجِبَتْ عَهْدِي بِهَا زَمْنَا مَا دُونَهَا حُجُبُ

ثُمَّ خَرَّ مَغْشِياً عَلَيْهِ، فَبَادَرَتْ إِلَى الْمَاءِ وَنَضَحَتْ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَفَاقَ بَعْدَ حِينٍ ثُمَّ
تَنَفَّسَ الصَّعْدَاءُ فَأَنْشَأُ يَقُولُ:

بِلَادِي لَوْ فَهَمْتُ بَسَطْتُ عَذْرِي إِذَا مَا الْقَلْبُ عَاوَدَهُ نَزْوُعُ
بِهَا الْحَيْنُ الْمَبَاحُ لِمَنْ بَغَاهُ وَجَزَعُ لِلْغَرِيبِ بِهِ مَرِيعُ^(٧٢)
إِلَى أَهْلِي الْكِرَامِ تَشَاقُّ نَفْسِي فَهَلْ يَوْمًا إِلَى وَطْنِي أَرِيعُ

(٧٠) وَصِيبٌ: صَيْغَةٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ وَاصَبٍ بِمَعْنَى مَرِيضٍ.

(٧١) مَطْرَبٌ عَلَى وَزْنِ مَفْعَلٍ، مَكَانٌ يَكُونُ فِيهِ طَرَبٌ.

(٧٢) الْحَيْنُ (يَفْتَحُ حَرْفَ الْحَاءِ) هُوَ الْهَلَاكُ.

الْجَزَعُ ضِدُّ الصَّبْرِ.

مَرِيعٌ: مَخِيفٌ.

[ياركيات الرئيس]

وقيل : كانت العرب تحفر الركايا^(٧٣) والبرك وتملؤها ماء ثم تسقي إبلها وغنمها فإذا انتجعت^(٧٤) إلى غير تلك البقعة عفتها الرياح الصيفية فطمست آثارها القساطل^(٧٥)، فكان المجنون يمر بتلك البقاع فلا يرى غير وتد مشجوج ونؤي^(٧٦) منهدم وطوى مثلوم^(٧٧)، فيستعبر أسفاً وحزناً ويقول:

ألا يا رُكياتِ الرِّيسِ على البِلا سَقِيتِ هل في ظلكِ شجون^(٧٨)
أضرَبَكِ العامَ نوءٌ سحابيةٌ ومَحَلٌّ فما تجري لكن عيون^(٧٩)
أجْتُنُّ بعد الحي فانصاحت اللوى وكنتن عهدي ما بكن أجون^(٨٠)
قال : ثم قعد عند جبل يقال له الوشل بناحية تهامة، كأعظم ما يكون من الجبال، وأنشد يقول:

إقرأ على الوشل السلامَ وقلْ له كلُّ المشاربِ مُذْ هُجِرَتْ ذميمُ
جبلٌ يزيد على الجبال إذا بدا بين الذرائع والحشوم مقيم^(٨١)

(٧٣) الركايا: جمع ركوة وهي الحفرة التي للماء.

(٧٤) تركتها إلى مكان آخر.

(٧٥) القساطل: الأتربة الكثيرة.

(٧٦) مكان منهدم: أو أماكن للسكن منهدمة.

(٧٧) طوى مثلوم: بثر مطوي مهديم.

(٧٨) الركيات: هي الحفر التي يتجمع فيها الماء.

الرئيس: اسم موضع.

(٧٩) محلٌّ: جذب ويبس الأرض.

عيون: المقصود بها عيون الماء.

(٨٠) أجتنُّ: تغير لون ماؤكن وطعمه.

فانصاحت: تصدعت ويبست.

اللوى: اسم موضع أو متقطع الرمل.

(٨١) الذرائع: جمع ذريعة وهي الوسيلة.

الحشوم: على وزن فعول، جمع حشمة وهي الروبة، وقد يكون اسم موضع.

تسري الصبا فتيت في ألوازه وبيت فيه مع الشمال نسيم^(٨٢)
سقياً لظلك بالعشي وبالضحى ولبرد مائك والمياه حميم^(٨٣)
لو كنت أملك منع مائك لم يذق ما في فلاتك ما حيت لئيم

(٨٢) الصبا: ريح.
ألوازه: جمع لوزة وهي ثمر شجر ينمو في المناطق المعتدلة.
(٨٣) سقياً لظلك: دعاء له بأن يكون دائم السقياء، حميم: ساخن.

[عفا الله عن ليلى]

وقيل : خرج رجل يريد سفرأً فينما هو يمر بين سياسب وآكام إذ رأى رجلاً نحيل الجسم كأضواً ما يكون من الرجال، وهو على شفير بئر، قال : فدنوت منه، فإذا هو يقول :

عفا الله عن ليلى وإن سفكت دمي
عليها، ولا مبدٍ لليلى شكايه
يقولون تُب عن ذكر ليلى وجهها
وقال أيضاً :

فيا قلبُ مُت حزنأً ولاتك جازعأً
هَوَيْت فتاةً كالغزالة وجهها
ولي كبدٌ حرٌ وقلبٌ معذبٌ
وآيةٌ وجد الصبَّ تهطال دمعُه
على ما انطوى من وجده في ضميره
فيا ليت أن الدهر جاد برجعةٍ
إليك فعزَّ النفس واستشعر الأسى
وقد شعث ليلى وشطَّ مزارها
فيا أسفا حَتَامَ قلبي معذبٌ
ثم رجعت فتركته ومضيت عنه .

(٨٤) الخرائد : جمع خريدة وهي العذراء .

[مودة الحبيب]

وعن رجل من بني عامر قال : لقيت المجنون عند قفوله عن البيت الحرام ، فقلت له : ويحك استشر الصبر واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب ، واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك الشنعة ، فإن التهتك يقطع مواد الغبطة . وليس للمهتوك ألفة ، والمستور طويل مدة الغبطة . فكان من جوابه أن قال :

يا ليت من جهل الصباية ذاقها	إن الغواني قتلت عشاقها
ما من لسن بواجذ ترياقها	في صدغهن عقاربٌ يلسعنا
كالخيرزانة لا نمل عناقها	إن الشقاء عناق كل خريدة
من عاجة حكّت الثدي حقاها ^(٨٥)	بيضُ تشبه بالحقاق تُديها
يُكسّن من حُلل الحرير رقاقها	يُدمي الحريرُ جلودهن وإنما
إني أحب من الخصور دقاقها	زانت روادفها دقاق خصورها
ما كنت زائرهما ولا طرّاقها	إن التي طرق الرجال خيالها

وقال أيضاً :

فقلت لهم فإني لا أشاء	وقالوا لو تشاء سلوت عنها
كما علقت بأرشية دلاء ^(٨٦)	وكيف وحبها علق بقلبي
فليس له وإن زجر انتهاء	لها حبٌ تنشأ في فؤادي
وفي زجر العواذل لي بلاء	وعاذلية تقطعني ملاماً

قال : فأقسمت عليه أن يشدني أحسن ما قاله في وصف المحاجر والأطراف والبشر والجلد ، فقال :

٨٥) الحقاق : جمع حُق وهي الآنية الصغيرة .

٨٦) الأرشية : جمع رشاء ، وهو الحبل .

والدلاء : جمع دلو .

ليالي أصبو بالعشي وبالضحى
 مُنعمّة الأطراف هيف بطونها
 وأعناقها أعناق غزلان رملية
 وأثلاثها السفلى برادي ساحل
 وأثلاثها العليا كأن فروعها
 وترمي فتصطاد القلوب عيونها
 زرعن الهوى في القلب ثم سقينه
 رعايب ما صدن القلوب وإنما
 فقيم دماء العاشقين مُطلّة
 ويقتلن أبناء الصباة غنوة

إلى خرّ ليست بسود ولا عَصْل^(٨٧)
 كواعبُ تمشي مشية الخيل في الوحل
 وأعينها من أعين البقر النجل
 وأثلاثها الوسطى كثيب من الرمل^(٨٨)
 عناقيد تُغذى بالدهان وبالعسل
 وأطرافها ما تُحسن الرمي بالنبل
 صبايات ماء الشوق بالأعين النجل
 هي النبل ريشت بالفتور وبالكحل^(٨٩)
 بلا قود عند الحمان ولا عقل^(٩٠)
 أما في الهوى يارب من حكم عدل!

(٨٧) خرد: عذراء.

سود: يغلب عليها السواد.

عصل: غير واضحة الرؤية.

(٨٨) برادي: قد يكون نبات البردي الذي ينمو على ضفاف الأنهار، ويصنع منه الحصر، وكان قدماء المصريين يصنعون منه الورق.

(٨٩) رعايب: على وزن فعاليل، وهي جمع (رعيب) على وزن (فعليل) بمعنى خائف أو مرتعد.

ريشت: حليت بريش مثل السهم، وكان المحاربون قديماً يحفظون توازن السهم بريشة أو بريش وكثيراً ما ذكر ذلك في شعر الفروسية.

الفتور: الوهن أو الضعف وتأتي في البيت بمعنى الخجل.

(٩٠) القود: بفتحيتين هو القصاص.

عقل: دية.

[العلوي يقول:]

● وقال أبو الحسن العلوي : سألت الوالي عن أحسن شيء قاله المجنون في العفة ، فأنشدني :

ألا يا شفاء النفس لو يُسَعَفُ النوى	ونجوى فؤادي لا تُباح سرائره
أثيبي فتى حَقَّقَ قولَ عدوّه	عليه وقلَّت في الصديق معاذره
أحبك يا ليلي على غير ريبه	وما خيرُ حبٍ لا تَعْفُ ضمائره
وأنشد :	

يجيشون في ليلي عليّ ولم أنل	مع العذل من ليلي حراماً ولا حلاً
سوى أن حباً لو تشاء أفلها	ولو تبتغي ظلاً لكان لها ظلاً
ألا حبذا أطلالُ ليلي على البلا	وما بذلت لي من نوالٍ وإن قلّا
فما يتمادى العهد إلا تجددت	مودتها عندي وإن زعمت أن لا

[يا غراب البين]

وقال بعضهم : بينما المجنون ذات يوم جالس إذ مر به غراب ، فأنشأ يقول :

ألا يا غراب البين إن كنت هابطاً	بلاداً لليلي فالتمس أن تكلمنا
وبلّغ تحياتي إليها وصّبوتي	وكن بعدها عن سائر الناس أعجما

[البرق يلوح]

قال: بينما المجنون ذات يوم في خطرات جنونه وحيرته لا يدري أين يتوجه إذ برق^(٩١) له فوق ساعة ثم قال:

ألا لا أحب السيرَ إلا مصْعُداً
على مثل ليلَى يَقْتُلُ المرءُ نفسه
إذا ما تمنى الناسَ رَوْحاً وراحةً
أرى سَقما في الجسمِ أصبح ثاويّاً
ونادَى منادِي الحبِّ أين أسيرُنا؟
حملتُ فؤادي إن تعلق حبها
وقال أيضاً:

لقد طرقتني أمٌ خشفٍ وإنها
أقامَ فريقٌ من أناسٍ بودهم
بحاجةٍ مخزونٍ كَثِيبٌ فؤداه
تَحِلْنَ أن هبتَ لهن عشيّةُ
فيا كبداً أخشى عليها وإنها
كأنَّ فضولَ الرقمِ حين جعلتها

(٩١) ظهر وبان.

(٩٢) طرقتني: زارتني أو تذكرتها ليلاً.

الخشف: ولد الغزال.

الكري: النوم.

(٩٣) ذات الشرى: اسم موضع.

(٩٤) رهين: متعلق أو أسير.

الحجال: الخلاخيل.

(٩٥) جنوب: ريع الجنوب.

(٩٦) فضول الرقم: ما تبقى من الكتابة وآثارها.

الآدم: بفتحتين وضميتين جمع أديم وهو الجلد المدبوغ.

تَكَادُ عَلَى غُرِّ السَّحَابِ تَرُوقُ
فَوَعْتُ وَأَمَّا خَصَرُهَا فَدَقِيقُ (٩٨)

سَنَا الْبَرْقِ يَبْدُو لِلْعَيُونِ النَّوَاطِرِ
أَعْنَكَ وَإِنْ تَصْبِرْ فَلَسْتُ بِضَابِرِ
جَمَى الرَّشْفِ صَوَّبَ الْمَدَجَّنَاتِ الْمَوَاطِرِ (٩٩)
إِلَيْهِمْ وَوَقَاهُمْ صُرُوفَ الْمَقَادِرِ

وَفِيهِنَّ مَنْ نُجِّلُ النِّسَاءَ بِحُلَّةٍ
جَبَانُ فَأَمَّا الدَّعْصُ مِنْ أَخْرِيَاتِهَا
وَقَالَ أَيْضًا:

أَقُولُ لِقَمَقَامِ بْنِ زَيْدٍ أَلَا تَرَى
فَإِنْ تَبَكَ لِلْبَرْقِ الَّذِي هَيَّجَ الْهَوَى
سَقَى اللَّهَ حَيًّا بَيْنَ ضَارَةِ وَالْحَمَى
أَمِينُ بَوَادِي اللَّهِ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ

(٩٧) غر السحاب: السحاب الأبيض.

تروق: تصفو.

(٩٨) الدعص: الرمل أو الكثيب المجتمع.

وعث: رمل دقيق ناعم تغوص فيه القدم.

(٩٩) ضارة والحمى: اسمان لموضعين

المدجنات: السحاب الممطر.

الرشف: اسم موضع.

[ماشع ذو صباية]

وقيل: إنه مر ذات يوم بدوحة مديدة الظل باسقة الأغصان وريقة الأفنان في يوم
 غليل شديد القیظ فاستند إلى ساقها واستظل بظلها وقد خامرته الهموم وعلاه الجنون،
 فرقدت عيناه فما انتبه إلا بصفير طائر على الشجرة فانتبه فزعاً مرعوباً، فأنشأ يقول:
 لقد هتفت في جنح ليل حمامة
 فقلت اعتذاراً عند ذاك وإنني
 أأزعمُ أنني عاشقُ ذو صباية
 كذبتُ وبيت الله لو كنت عاشقاً
 وقال أيضاً:

هوى صاحبي ریح الشمال إذا جث
 فويلي على العذال ما يتركوني
 يقولون لو غزيت قلبك لأرعو^(١٠٠)
 دعاني الهوى والشوق لما ترنمت
 تجاوب ورقاً قد أصغخ لصوتها
 فقلت حمام الأيك مالك باكياً
 تُذكرني ليلى على بعد دارها
 وقد رابني أن الصبا لا تُجيبني
 سبي القلب إلا أن فيه تجلداً
 فكلم غزال الماتحين فإنه
 فلو أن ما بني بالحصا فلق الحصا

وأهوى لنفسي أن تهب جنوب
 يغمي أما في العاذلين لبیب
 فقلت وهل للعاشقين قلوب
 فتوف الضحي بين الفصون طرو
 فكل لكل مسعد ومجي
 أفارقت إلفاً أم جفاك حب
 وليلى قتول للرجال خو
 وقد كان دعوني الصبا
 غزالاً بأعلى الماتحين ريب
 بدائي وإن لم يشفني ل
 وبالريح لم يسمع له

(١٠٠) ارعوى: انتهى وامتنع.

(١٠١) الماتحين: جبل.

ريب: أي تريب ونشأ فيه وهي على وزن فعيل.

ولو أنني أستغفرُ الله كلما
فَدَوِي على عهدِ فلستُ بزائلٍ
وقال أيضاً:

ذكرتك لم تُكتب عليّ ذنوب
عن العهدِ منكم ما أقام عسيب

وتبعث أحزاني الصُّبا ونسيمها
وتأوي إلى نفسٍ كثيرٍ همومها
يدُ ذاتُ أظفار فأدمت كلومها

أموت إذا شَطَّتْ وأحيا إذا دنت
فمن أجل ليلي تُولع العينُ بالبكا
كأن الحشا من تحته علقَتْ به

[يا موقد النار]

قيل: إن المجنون صحب يوماً أصحاب إبل^(١٠٢) واستروح بهم فنزلوا منزلاً لم يجدوا لإبلهم فيه ماء قد أجهدهم الكلال، فباتوا ليلتهم، فلما نور الصباح قدح أحدهم ناراً فكلما التهبت أطفأتها الريح والمطر، فلما طال ذلك عليهم أنشأ المجنون يقول:

يا موقد النار يذكىها ويخمدها
قُمْ فاصْطَلِ النَّارَ مِنْ قَلْبِي مَضْرُوءَةً
ويا أخا الذود قد طال الظماء بها
رُدَّ المطيَّ على عيني ومحجرها
يا مزعم البين إن جدَّ الرحيل فلا

وقال:

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصَّلا
فإنَّ لهيب النار بين جوانحي
فقالوا نريد الماء نسقي ونسقي
فقالوا وأين النهرُ قلتُ مدامعي
فقالوا ولم هذا فقلتُ من الهوى
ألم تعرفوا وجهاً لليلي شعاعه
يمرُّ بوهمي خاطراً فيؤدّها
منعمةً لوقابل البدر وجهها
هلاليةً الأعلى مُطلخةً الذرا

(١٠٢) من الممكن أن يكون نوام الرعاة.

(١٠٣) إقتار: قلة الماء.

(١٠٤) مطلخة على وزن مفعلة، من الطلخ: هو ما يبقى في قاع الحوض، ويكون اسود اللون، والمقصود أنها سوداء الشعر.

الذرا: الرأس أو الشعر.

مَبْتَلَةٌ هَيْفَاءٌ مَهْضُومَةٌ الْحَشَا
 مُدْمَلَجَةٌ السَّاقِينَ بَضٌّ بَضِيضَةٌ
 فَقَالُوا أَمْجَنُونَ فَقُلْتُ مُوسُوسُ
 فَلَا مَلِكَ الْمَوْتِ الْمَرِيحُ يَرِيحُنِي
 وَصَاحَتْ بَوْشَكُ الْبَيْنِ مِنْهَا حَمَامَةٌ
 عَلَى دَوْحَةٍ يَسْتَنُّ تَحْتَ أَصُولِهَا
 مَطْوُوقَةٌ طَوْقًا تَرَى فِي خُطَامِهَا
 أَرْنَتْ بِنَا عَلَى الصَّوْتِ مِنْهَا فَهَيْجَتْ
 فَقُلْتُ لَهَا عَوْدِي فَلَمَّا تَرْنَمْتُ
 كَأَن فَوَادِي حِينَ جَدَّ مَسِيرُهَا
 فَوَدَّعْتُهَا وَالنَّارُ تَقْدَحُ فِي الْحَشَا
 وَرَحْتُ كَأَنِّي يَوْمَ رَاحَتْ جَمَالُهُمْ
 أَبَيْتُ صَزِيعَ الْحُبِّ مَدْمَى مِنَ الْهَوَى

مُورَّدةُ الخَدَّينِ وَاضِحَةُ الثَّغْرِ (١٠٥)
 مَفْلَجَةُ الْأَنْيَابِ مَصْقُولَةُ الْخَمْرِ (١٠٦)
 أَطُوفُ بِظَهْرِ الْبَيْدِ قَفْرًا إِلَى قَفْرِ
 وَلَا أَنَا ذُو عَيْشٍ وَلَا أَنَا ذُو صَبْرِ
 تَغْنَتْ بَلِيلٌ فِي ذُرَى نَاعِمٍ نَضِرُ
 نَوَاقِعُ مَاءٍ مَدَّهُ رَصَفُ الصَّخْرِ (١٠٧)
 أَصُولُ سَوَادٍ مَطْمَثُنَ عَلَى النَّحْرِ (١٠٨)
 فَوَادٍ مُعْنَى بِالْمَلِيحَةِ لَوْ تَدْرِي
 تَبَادَرَتِ الْعَيْنَانِ سَحًّا عَلَى الصَّدْرِ (١٠٩)
 جَنَاحُ غَرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى الْوَكْرِ
 وَتَوَدَّعْتُهَا عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
 سَقَيْتُ دَمَ الْحَيَاةِ حِينَ انْقَضَى عَمْرِي
 وَأَصْبَحَ مَنْزُوعُ الْفَوَادِ مِنَ الصَّبْرِ

= مرجحة: كثيرة الاهتزاز.

مهفهفة: ضامرة نحيلة.

(١٠٥) مبتلة: من بتل الشيء إذا أبانه من غيره، والمعنى أنها ظاهرة بارزة.

هيفاء: طويلة.

موردة الخدين: خداهما بلون النور.

مهضومة الحشا: ليس لها بطن بارز.

(١٠٦) مدملجة الساقين: ممثلة الساقين.

بضة بضيضة: بيضاء.

مفلجة الأنياب: الفلج في الأسنان هو التباعد بينها ويعتبر من علامات جمال المرأة.

الخمر: الخمار.

مصقولة: سميكة.

(١٠٧) يستن: يروعى العشب.

مدّه: أي أمدّه بماء.

رضق الصخر: الصخور المحماة المشتعلة.

(١٠٨) مطوقة: أي عليها طوق.

خطامها: الخطام هو زمام الفرس أو أثر الطوق هنا.

(١٠٩) تغنت.

رمتني يدُ الأيام عن قوسِ غِرَّةٍ
بسهمين مسمومين من رأسِ شاهقٍ
مُنَايَ دَعِينِي فِي الْهَوَى مُتَعَلِّقًا
فَلَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ مِنْ مَاءِ مِزْنَةٍ
وَلَوْ كُنْتُ لَيْلًا كُنْتُ لَيْلَ تَوَاصُلٍ
عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ يَا غَايَةَ الْمُنَى

بسهمين في أعشار قلبي وفي سحري
فغودرتُ محمبً الترائب والنهـ
فقد متُّ إلا أنني لم يُزَرَ قَبْرِي
وَلَوْ كُنْتُ نَوْمًا كُنْتُ مِنْ غَفْوَةِ النَّجْرِ
وَلَوْ كُنْتُ نَجْمًا كُنْتُ بِدْرِ الدَّجَى يَسْرِي
وَقَاتَلْتِي حَتَّى الْقِيَامَةِ وَالْحَشَرِ

[طير يتخلق]

قال : ونظر ذات يوم إلى طير يتخلق في جو السماء فأتبعه بصره^(١١٠) وأنشأ يقول :

ألا أيها الطير المحلّق غاديا	تَحْمَلُ سلامي لا تَذَرْنِي مناديا
تَحْمَلُ هَداك الله مِنِّي رسالةً	إلى بلدٍ إن كنتَ بالأرض هاديا
إلى قفرةٍ من نحو ليلَى مُضَلَّةٍ	بها القلبُ مِنِّي موثّق وفؤاديا
ألا ليت يوماً حلّ بي من فراقكم	تزدودت ذاك اليوم آخر زاديا

[جبل الثوبان]

قال موسى بن جعفر : خرج المجنون لما أصابه ما أصابه حتى أتى الشام فسأل عن أرض بني عامر، فقبل وأين أنت من أرض بني عامر؟ عليك بنجم كذا، فرجع إلى أرض بني عامر ووقف عند جبل يقال له ثوبان فقال :

وأجهشتُ للثوبان حين رأيته	وهلّل للرحمن حين رأيته
وأذريتُ دمعَ العين لما رأيته	ونادى بأعلى صوته ودّعاني
فقلتُ له أين الذين عهدتهم	حوالك في خصبٍ وطيب زمان؟
فقال مَضُورٌ راسودعوني بلادهم	ومن ذا الذي يبقى مع الحدّثان
وإني لأبكي اليوم من حَذري غداً	فراقك والحيان مؤتلفان
سَجَلاً وهَتاناً ووبلاً وديمّةً	وسحاً وتسجماً إلى هَمَلانٍ ^(١١١)

(١١٠) نظر إليه وتأمله .

(١١١) سَجَلاً : أي كماء السجل وهو الدلو إذا كان فيه ماء .

الهُتان : المطر المنقطع .

الوبل : المطر المتواصل .

ديمّة : مطر دائم .

سحاً : يقال للمطر والدموع إذا سالت بكثرة .

تسجماً : من سجم الدمع إذا سال .

هملان : من هملت عيناه إذا فاضت من كثرة البكاء .

[الواشون]

قال الوالبي : ذُكر أن أباه الملوّح وإخوته ساروا إلى الصحراء ليأخذوه ويردوه إلى الحي^(١١٢) وأهل بيته ، وذلك بعد ما نحل جسمه واسود وجهه وجف جلده على عظامه ، فلما وردوا عليه لقوه قاعداً على تل من رمل وهو يخط بأصبعه ، فلما دنوا منه نفر ، فناداه أبوه : يا قيس ! أنا أبوك الملوّح وهذا أخوك ، فطب نفساً وأبشر فقد وعدني أن يزوجهكها ويردك من نفارك وينزل عند حكمك ورضاك . فأقبل إليهم وأنس بهم ، فقال له أبوه : يا قيس أما تتقي الله وتراقبه ! كم تطيع هواك وتعصيني ، فقد كنت أرجى ولدي ، أفضلك عليهم وأوثرك ، فأخلفت ظني ولم تحقق أمني ، فليت شعري ما أراها ممن يوصف بالجمال والحسن ، وقد بلغني أنها فوهاء^(١١٣) قصيرة جاحظة العينين شهلة^(١١٤) سمجة ، فعد عن ذكرها ولك في قومك من هي خير لك منها . فلما سمع ثلثه فيها أنشأ يقول :

يقول لي الواشون ليلي قصيرة	فليت ذراعاً عرض ليلي وطولها
وإن بعينيها لعمرك شهلة	فقلت كرام الطير شهل عيونها
وجاحظة فوهاء لا بأس إنها	منى كبدي بل كل نفسي وسؤلها ^(١١٥)
فدق صلاب الصخر رأسك سرمداً	فليني إلى حين الممات خليلها

فلما سمعوا هذه الأبيات تركوه وانصرفوا قانطين ، فبينما هو ذات يوم نائم إذ مر به رجل فقال :

ألا إن ليلي بالعراق مريضة . وأنت خليّ البال تلهو وترقد
فلو كنت يا مجنون تُضنى من الهوى لبت كما بات السليم المسهد

(١١٢) مكان أهله .

(١١٣) فوهاء : واسعة الفم قبيحة .

(١١٤) شهلة : شهل العين ، أن يشوب سوادها زرقة وهو من علامات القبح .

(١١٥) جاحظة : بارزة العينين .

سؤلها : مخففة سؤلها أي كل ما تسأله .

فخر المجنون مغشياً عليه لما سمع ذلك فلما أفاق أنشأ يقول:

يقولون ليلى بالعراق مريضة
سقى الله مريضى بالعراق فإنني
فإن تك ليلى بالعراق مريضة
أهيم بأقطار البلاد وعرضها
كأن فؤادي فيه مورٍ بقادح
إذا ذكرتها النفس ماتت صباية
سقتني شمسٌ يخجل البدر نورها
عرايبة الفرعين بدرية السنا
وقد صيرت مجنوناً من الحب هائماً
أظل ذريح العقل ما أطعم الكرى
برى حبها جسمي وقلبي ومهجتي
فلا تعذلوني إن هلكت ترحموا
وخطوا على قبري إذا مت وكتبوا
إلى الله أشكو ما ألقى من الهوى

فمالك لا تظني وأنت صديق
علي كل مريضى بالعراق شقيق
فإنني في بحر الحتوف غريق
وما لي إلى ليلى الغداة طريق
وفيه لهيبٌ ساطعٌ وبروق^(١١٦)
لها زفرة قتالةٌ وشهيق
ويكسف ضوء البرق وهو بروق
ومنظرها بادي الجمال أنيق^(١١٧)
كأنني عانٍ في القيود وثيق
وللقلب مني أنه وخفوق^(١١٨)
فلم يسبق إلا أعظم وعروق
عليّ ففقد الروح ليس يعوق
قتيل لحاظ مات وهو عشيق
ليل في قلبي جوى وحريق

(١١٦) مور: متقد.

(١١٧) عرايبة: نسبة إلى قبيلة أو إلى العرب.

الفرعين: أي من جهة الأب والأم أو كناية عن صفتي الشعر.

السنا: الضوء الشديد.

(١١٨) قرأتها في نسخة للديوان «ذريح العقل»، بمعنى ضعيف العقل.

والذرايح جمعها، وهو نوع من السموم والمعنى يكون: مريض العقل مسمماً بالأفكار.

[شبه ليلي]

وقال أيضاً:

أقول لظبي مَرَّ بي وهو راتعٌ أنت أخو ليلي فقال يُقالُ
أيا شبهَ ليلي إن ليلي مريضةٌ وأنت صحيحٌ إنَّ ذا لمحالُ

وقال أيضاً:

يقولون ليلي بالعراق مريضةٌ فأقبلتُ من مصرٍ إليها أعودُها
فوالله ما أدري إذا أنا جئتها أبرئُها من دائها أم أزيدُها

[لا تتهكموا]

وروي أن رهطاً^(١١٩) من بني أسد خرجوا إلى بلاد الشام في بعض تجارتهم فعثروا^(١٢٠) بالمجنون فقالوا: يا قيس ما منع أبا ليلى أن يتلافى أمرك ويتداركه إلا أن قد صار مشهوراً في الأمصار ذكر ما دار بينكما من الرفث والفسوق، فهلا كففت نفسك عن المعاصي وزجرتها عن القذع والأمور الفظيعة حتى يدوم لك صفاء المودة وغضارة النعمة خالياً عما أنت بصدده؟ فلما سمع مقالتهم بكى بكاء متوجع وأنشأ يقول:

ألا أيها القوم الذين وَشَوْا بنا
ألا ينهيكم عنا تُقاكم فتتھوا
تعالوا نقف صفين منّا ومنكم
على من يقول الزور أو يطلب الخنا
حلفت بمن صلت قريش وجمرت
وما خلّقوا من رأس كلّ ملبّ
لقد أصبحت مني حصاناً بريئة
من الخفّرات البيض لم تدر ما الخنا
ولا سمعوا من سائر الناس مثلها

على غير ما تقوى الإله ولا برّ
أم أنتم أناس قد جُبلتم على الكفر
وندعو إله الناس في وضح الفجر
ومن يقذف الخود الحصان ولا يدري^(١٢١)
له بمنى يوم الإفاضة والنحر^(١٢٢)
صبيحة عشر. قد مضين من الشهر
مُطهرة ليلى من الفحش والنكر
ولم تُلَفْ يوماً بعد هجعتها تسري^(١٢٣)
ولا برزت في يوم أضحى ولا فطر

(١١٩) جماعة.

(١٢٠) وجدوا المجنون.

(١٢١) الخنا: الفحش.

يقذف: يتهم بالزنا.

الخود الحصان: العذارى الشريقات.

(١٢٢) جمرت: أي رمت الجمار.

الإفاضة: الإفاضة من عرفات.

النحر: من شعائر الحج.

كلّ ملبّ: في رواية الوالي كسري وزن البيت.

(١٢٣) الفحش: الفحش والزنا.

تسري: أي تسلل ليلاً لتلقى عشيقها.

بَرَهْرَهَةٌ كَالشَّمْسِ فِي يَوْمِ صَحْوِهَا
هِيَ الْبَدْرُ حُسْنًا وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ
يَقُولُونَ مَجْنُونٌ يَهِيمُ بِذِكْرِهَا
إِذَا مَا قَرَضْتُ الشَّعْرَ فِي غَيْرِ ذِكْرِهَا
فَلَا نَعَمْتُ بَعْدِي وَلَا عَشْتُ بَعْدَهَا
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ مِنْ ذِي صَبَابَةٍ
لِيَالِيٍّ أُعْطِيتُ الْبَطَالََةَ مِقْوَدِي
مَضَى لِي زَمَانٌ لَوْ أُخَيِّرُ بَيْنَهُ
لَقُلْتُ ذَرُونِي سَاعَةً وَكَلَامَهَا

مَنْعَمَةٌ لَمْ تَخْطُ شَبْرًا مِنَ الْخَدْرِ (١٢٤)
فَشْتَانٌ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَالْبَدْرِ
وَوَاللَّهِ مَا بِي مِنْ جُنُونٍ وَلَا سِحْرِ
أَبَى وَأَبَيْكُمْ أَنْ يَطَاوَعَنِي شَعْرِي
وَدَامَتْ لَنَا الدُّنْيَا إِلَى مَلْتَقَى الْحَشْرِ
وَصَبٌّ مُعْنَى بِالْوَسَاوِسِ وَالْفَكْرِ
تَمَرُ اللَّيَالِي وَالسَّنُونُ وَلَا أُدْرِي
وَبَيْنَ حَيَاتِي خَالِدًا أَبَدَ الدَّهْرِ
عَلَى غَفْلَةِ الْوَاشِينَ ثُمَّ اقْطَعُوا عَمْرِي

(١٢٤) برهرة : البرهرة المرأة البيضاء الشابة الناعمة الملمس .

الخدر : الخيمة .

[يا عقاب الوكر]

ثم جعل يدور هائماً قد اشتد وسواسه وجنونه إذ مر بعقاب ساقط على وكره، فدنا منه وأنشأ يقول:

ألا يا عقابَ الوكر وكر ضريّة
أبيني لنا لا زال ريشك ناعماً
أبيني لنا قد طال ما قد تركتنا
وقفتُ على مرّان أنشدُ ناقتي
وما أنشدُ البعران إلا صبايةً
مفلجة الأنياب لو أن ريقها
إذا ذكرتُ ليلي أُسرُ بذكرها
فقال جميعُ الناس لَمَّا نشدتها
تداويتُ من ليلي بليلى عن الهوى
ألا زعمتُ ليلي بأن لا أحبُّها
بلى والذي لا يعلم الغيبَ غيرُه
بلى والذي نادى من الطور عبده
لقد فضّلتُ ليلي على الناس مثل ما

سقيت الغواصي من عقاب على وكر
ولا زلت في صيد مُخضبة الظفر
بعمياء لا ندري أنصبح أم نسري
وما هلكت لي من قلوص ولا بكر (١٢٥)
بواضحة الخدين طيبة النشر (١٢٦)
يداوى به الموتى لقاموا من القبر (١٢٧)
كما انتفض العصفور من بلل القطر
بلى، وفريق قال والله وما ندري
كما يتداوى شارب الخمر بالخمير
بلى وليالي العشر والشفع والوتر
بقدرته تجري السفائن في البحر
وعظم أيام الذبيحة والنحر
على ألف شهر فضّلت ليلة القدر

(١٢٥) مرّان: جبل.

قلوص: ناقة، بكر، من الإبل.

(١٢٦) البعران: البعير يشمل الجمل والناقة.

صباية: غراماً بصاحبها.

النشر: الرائحة الزكية.

(١٢٧) مفلجة الأنياب: متباعدة ما بين الأسنان وهو من علامات الحسن.

[صبراً]

وقال:

فوالله ما أبكي على يوم مَيِّتي ولكني من وشك بينك أجزعُ
فصبراً لأمر الله إن حان يَوْمنا فليس لأمرِ حمَّة الله مَدفعُ

[أبيات ونغمات]

قال علي بن صالح :

حججت مع أبي عيسى بن الرشيد، فبينما نسري ليلاً إذ نحن بأعرابي يترنم بأبيات
ما سمعت والله أحسن منها، ونغمات ما كدت أسمع مثلها، وهي :

ألا هل إلى شَمّ الخزامى ونظرة	إلى قرقرى قبل الممات سبيل ^(١٢٨)
فأشرب من ماء الحبيلاء شربة	يُداوى بها قبل الممات عليل ^(١٢٩)
فيا أثلاتِ القاع قد ملّ صحبتي	مسيرى فهل في ظلكنّ مَقيل ^(١٣٠)
ويا أثلاتِ القاع ظاهرُ ما بدا	بجسمي على ما في الفؤاد دليل
ويا أثلاتِ القاع من بين توضّح	حنيني إلى أفيائكنّ طويل ^(١٣١)
ويا أثلاتِ القاع قلبي موكل	بكنّ وجدوى خيركنّ قليل
أروم انحداراً نحوها فيردّني	ويمنعني دينّ عليّ ثقیل
أحدّث عنك النفس إذ لست راجعا	إليك فحزني في الفؤاد دخیل

وقال :

أُحجّجَ بيت الله في أي هودج	وفي أيّ خدرٍ من خدروكم قلبي
أأبقى أسيرَ الحب في أرض غربة	وحاديكم يحدو بقلبي في الركب

وقال :

(١٢٨) الخزامى : نبت طيب الرائحة، والتبخّر به يذهب كل رائحة منتنة، وشربه مصلح للكبد والطحال والدماغ البارد.

قرقرى : اسم موضع.

(١٢٩) ماء الحبيلاء : الماء الذي لاتصفيه الشمس.

ومغترب بالمرج يبكي بشجوه وقد غاب عنه المسعدون على الحب
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنفس يستنفي برائحة الركب

فقال أبو عيسى: عليّ بالرجل، فتنفرت الخيل في طلبه يمنة ويسرة، فما كان إلا هنيهة حتى أتى برجل ضئيل الجسم ناحل البدن عريان، فقال له: من أنت لأملك الهبل؟ فوالله ما تنهه أن قال أسرع من مخرج نفسه وارتداد طرفه:

أنا الوامق المشغوف والله ناصري أنا الناحل المهموم والقائم الذي
أظلل بحزنٍ دائمٍ وتحسّرٍ فحتم يا ليلي فؤادي معذبٍ
لعمري ما لاقى جميلٌ بن معمر ولم يلق قابوسٌ وقيسٌ رعرورة
صبا يوسف واستشعر الحب قلبه وبشرٌ وهند ثم سعدٌ ووامق
وهاروتٌ لاقى من جوى الحب سطوةً ولم يخلُ منه المصطفى سيدُ الورى
أبيت صريعَ الحب أبكي من الهوى ولولا طروق الليل أودت بنفسه
إذا هي زادت في الثوى زاد في الهوى أعارته أنفاس الصبا بك صبوة
ألا إن دمع الصبِّ عما يُجنُّه لساني عمي في الهوى وهو ناطقٌ
وكيف يُطيق الصبُّ كتمان سرّه عذيري من طيفٍ أتى بعد موهين
تنفس روض جاده ماءً مزنةً ومتقمي ممن يجور ويظلم
أراعي الثريا والخليلون نؤم وأشرب كأساً فيه سمٌ وعلقم
بروحي تقضي ما تحب وتحكم كسوجدي بليلى لا ولم يلق مسلم
ولم يلقه قبلي فصيحٌ وأعجم ولا كاد داودٌ من الحب يسلم
وتوبة أضناه الهوى المتقسم وماروتٌ فاجاه البلاء المصمم
أبو القاسم الزاكي النبي المكرم ودمني على خدي يفيض ويسجم
منعمة اللحظين تُبري وتسقم^(١٣٢) فلا قلبه يسلو ولا هي ترحم
لها بين جنبيه سعيٌ مضرٌ وإن لم يَفْه يوماً به مُتكلم
ودمني فصيحٌ في الهوى وهو أعجم وهل يكتم الوجد امرؤٌ وهو مُغرّم
برامة جزوى عرقه يتقدّم^(١٣٣) وأطرافه تبكي الندى ثم تبسم

(١٣٢) الطروق: الزيارة ليلاً، وهي على وزن فعول - ومنها الطارق: على وزن فاعل، وفعلاها (طرق).

(١٣٣) موهين: منتصف الليل، عرفه: رائحته الطيبة.

رامة جزوى: اسم موضع.

[أبو عيسى يقول:]

قال له أبو عيسى : أما تحن إلى أكناف الحمى ويرتاح قلبك إلى أقطار نجد وبلاد ليلي ؟ فزفر زفرة ثم رن بعدها وقال :

تَعَزَّ بَصِيرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى بشام الحمى إحدى الليالي الغوائر (١٣٤)
كَأَنَّ فَوَادِي مَنْ تَذَكَّرَهُ الْحَمَى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

قال علي : فوالله لقد أبكنا جميعاً، ثم أمر له أبو عيسى بأثواب شريفة ودراهم كثيرة، فقلنا أيد الله الأمير إنه لمجنون ما يلبس ثوباً إلا قدّه ورماه، فعد عنه إلى ما سواه، وسله أن ينشدك بعض أشعاره . فقلنا له : هل لك أن تروي لمولانا الأمير شيئاً من شعرك ؟ فطفق ييكي ويقول :

وإني وإن لم آت ليلي وأهلها لبك بكاء طفلٍ عليه التماثمُ
بُكَاءٌ لَيْسَ بِالنَّزْرِ الْقَلِيلِ دَائِماً كما الهجر من ليلي على الدهر دائم
هَجَرْتُكَ أَيَّاماً بَذِي الْغَمْرِ إِنِّي على هجر أيام بذِي الغمر نادم
فَلَمَّا مَضَتْ أَيَّامُ ذِي الْغَمْرِ وَارْتَمَى بي الهجرُ لامتني عليك اللوائم
وإني وذاك الهجر ما تعلمينه كعازبةٍ عن طفلها وهي رائم (١٣٥)
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي أَهِيَمُ بِذِكْرِهَا على حين لا يبقى على الوصل هائم
أَظْلَ أَمْنِي النَّفْسَ إِيَّاكَ خَالِياً كما يتمنى بارد الماء صائم

(١٣٤) الليالي الغوائر: الليالي السالفة .

(١٣٥) عازبة : بعيدة .

رائم : من رام .

[أيها القلب]

وقال :

ألا أيها القلب اللجوج المعدّل
أفق قد أفاق الوامقون وإنما
سلا كل ذي ودّ عن الحب وأزعوى
فقال فؤادي : ما اجتررت ملامّة
فعينك لُمها إن عينك حمّلت
لحى الله من باع الخليل بغيره
وقلت لها بالله يا ليل إنني
هبي أني أذنبت ذنباً علمته
فإن شئت هاتي نازعيني خصومة
نهاري نهار طال حتى ملّته
وكننت كذّاب السوء إذ قال مرة
ألسبت التي من غير شيء شتمتني
فقال ولدت العام بل رُمّت كذبة
وكننت كذّاب العصافير دائماً
فلا تنظري ليلي إلى العين وانظري

أفق عن طلاب البيض إن كنت تعقل^(١٣٦)
تماديك في ليلي ضلال مضلّل
وأنت بليلى مُستهام مُوكّل
إليك ولكن أنت باللوم تعجل
فؤادك ما يعيا به المتحمّل
فقلت نعم حاشاك إن كنت تفعل
أبر وأوفى بالعهود وأوصل
ولا ذنب لي يا ليل فالصفح أجمل
وإن شئت قتلا إن حكمك أعدل
وليلي إذا ما جئت الليل أطول
لبهم رعت والذئب غرثان مرمّل^(١٣٧)
فقال متى ذا؟ قال ذا عام أول
فهاك فكلني لا يهنيك مأكّل
وعيناه من وجد عليهن تُهمّل
إلى الكف ماذا بالعصافير تفعل

(١٣٦) اللجوج هو المتماذي في خصومته .

المعدّل : المعاتب .

طلاب : طلب .

(١٣٧) ذنب السوء : الذئب اللئيم .

البهم : صغار الماعز والخراف .

غرثان : جائع .

مرمّل : جائع ، معدم ، لا زاد له .

وقال:

أقول لصاحبي والعيس تهوي
تمتع من شميم عرار نجد
ألا يا حبذا نفحات نجد
وأهلك إذ يحل الحي شهداً
شهور ينقضين وما شعرنا
فأما ليلهن فخير ليل
بنا بين المنيفة فالضمار (١٣٨)
فما بعد العشية من عرار (١٣٩)
ورياً روضة غب القطار (١٤٠)
وأنت على زمانك غير زار (١٤١)
بأنصاف لهن ولا سرار (١٤٢)
وأطول ما يكون من النهار

وقال:

من أجل سار في دجى الليل لامع
علام تخاف البين والبين نافع
إذا لم تزل ممن تحب مروءعا
بغدر فإن البين ليس برائع
وقال:

سأبكي على ما فات مني صباةً
وأمنع عيني أن تلد بغيركم
وخير زمان كنت أرجو دؤوه
فأصبحت مرحوماً وكنت محسداً
ولم أرها إلا ثلاثاً على منى
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة
وأنذب أيام السرور الذواهب
وإني وإن جانب غير مجانب
رمتني عيون الناس من كل جانب
فصبراً على مكروها والعواقب
وعهدي بها عذراء ذات الذوائب
بدا حاجب منها وضاحت بحاجب

(١٣٨) العيس: الإبل جمع أعيس.

تهزي: تمضي بسرعة.

المنيفة والضمار: اسمان لموضعين بالجزيرة العربية.

(١٣٩) شميم: شم.

عرار: نبت طيب الريح.

(١٤٠) ريا: اسم جبل ببلاد بني عامر.

غب: الغب في السقيا يوماً بعد يوم.

القطار: هو السحاب الممطر.

(١٤١) زار: عاتب ولائم.

(١٤٢) سرار: أي آخر ليلة من الشهر والمعنى أنه لا شعر بمرور الأشهر لا في منتصفها ولا آخر لياليها

وقال أيضاً:

أَحْنُ إِذَا رَأَيْتُ جِمْالَ قُومِي
سَقَى الْغَيْثُ الْمَجِيدُ بِلَادَ قُومِي
عَلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِ أَرْضِ نَجْدٍ
وقال أيضاً:

وَأَبْكِي إِنْ سَمِعْتَ لَهَا حَنِينًا
وَإِنْ خَلْتَ الدِّيَارَ وَإِنْ بَلَيْتَ
تَحِيَّاتٍ يَرْحَنُ وَيَغْتَدِينَا

وَمَنْ أَنَا فِي الْمِسُورِ وَالْعُسْرِ ذَاكِرُهُ
بِهَجْرِي إِلَّا مَا تُجِنُّ ضَمَائِرُهُ
بِلَادِي إِذَا لَمْ أَرْضَ مِمَّنْ أَجَاوَرُهُ
وَبَاغَضْتُ مَنْ قَدْ كُنْتُ حِينًا أَعَاشِرُهُ
بِهِ الْحُبُّ وَالْإِعْدَامُ أَمْ أَنْتَ زَائِرُهُ
يُسَرُّ بِهِ بَطْنُ الْفَوَاذِ وَظَاهِرُهُ
فَإِنْ مِتُّ أَضْحَى الْحُبُّ قَدَمَاتِ آخِرِهِ
فَحَبْلُكَ مِنْ دُونِ الْحِجَابِ يَبَاشِرُهُ
وَفِيكَ الْمَنَى لَوْلَا عَدُوٌّ أَحَازِرُهُ

وقال أيضاً:

يَا مَنْ شُغِلْتُ بِهِجْرِهِ وَوَصَالِهِ
وَاللَّهِ مَا التَفَّتِ الْجَفُونُ بِنَظَرِهِ

وقال أيضاً:

هَمُّ الْمَنَى وَنَسِيتُ يَوْمَ مَعَادِي
إِلَّا وَذِكْرَكَ خَاطِرُ بَفُؤَادِي

إِذَا جَمَشْتُهُ الْعَيْنُ عَادَ بِنَفْسِجَا^(١٤٣)
فَأَبْدَتْ لَنَا بِالْغَنَجِ دُرًّا مَفْلُجَا^(١٤٤)
أَدَاوِي بِهَا قَلْبِي فَقَالَتْ تَغْنُجَا

وَمَفْرُوشَةُ الْخَدَّيْنِ وَرَدًّا مَضْرَجَا
شَكُوتُ إِلَيْهَا طَوْلَ لَيْلِي بِعَبْرَةٍ
فَقُلْتُ لَهَا مَنَى عَلَيَّ بِقَبْلَةٍ

(١٤٣) مضرجاً: ملطخاً بالدم - والمعنى هنا احمر اللون.
جمشته العين: غاظته.

(١٤٤) الغنج: من تدلل النساء المثير.

وابتسامهن دراً: يقصد الأسنان.

مفلجاً: بين أسنانه مسافات وهو من علامات الجمال.

بُلِيتُ بَرْدِفٍ لَسْتُ أُسْطِيعُ حَمْلَهُ
وقال أيضاً:

فؤادي بين أضلاعي غريبٌ
أحاطَ به البلاءُ فكلُّ يومٍ
لقد جلب البلاءُ عليّ قلبي
وإن تكنِ القلوبُ كمثلي قلبي
وقال أيضاً:

ومستوحشٌ لم يُمس في دار غربةٍ
وقال أيضاً:

بيضاء باكرها النعيم كأنها
موسومة بالحسن ذات حواسد
وترى مدامعها ترقرق مُقلّةٌ
خودٌ إذا كثر الكلامُ تعوّذت
وقال أيضاً:

أحنُّ إلى نجيدٍ وإنسي لايسُ
وإن يكُ لا ليلي ولا نجدُ فاعترفُ
وقال أيضاً:

ألا إنما أفنى دموعي وشقني
ومالي لا يستنفدُ الشوق عبرتي
إذا لم أجدُ عذراً لنفسي ولمتها

يجاذب أعضائي إذا ما ترَجَرَجَا

ينادي مَنْ يحبُّ فلا يجيب
تقارعه الصباية والنحيب
فقلبي مذ علمتُ له جُلوب
فلا كانت إذاً تلك القلوبُ

ولكنه ممن يودُّ غريب

قمرٌ توسّط جنح ليلٍ أسود
إن الحسان مظنةً للحسدِ
سوداء ترغب عن سوادِ الأئمة (١٤٥)
بحمي الحياءِ وإن تكلمُ تقصّد (١٤٦)

طوال الليالي من قفولٍ إلى نجد
بهجرٍ إلى يوم القيامة والوعد

خروجي وتركِي مَنْ أحب ورائيا
إذا كنتُ من دارِ الأجابة نائيا
حملتُ على الأقدار ما كان جاريا

(١٤٥) ترقرق: تناسل.

الأئمة: الكحل.

(١٤٦) خود: حسنة الخلق رقيقته.

تكلم: تتكلم.

تقصّد: تقتصد في الكلام.

قال: فرغ من إنشاد هذه الأشعار ظهر له غزالان في أصل جبل، فتبعهما حتى وقف بحذائهما وجعل ينظر إليهما ويبكي ويقول:

أيا جبلَ الثلج الذي في ظلاله
غزالان شَبَا في نعيم وغبطةٍ
أرغتهما ختلاً فلم أستطعهما
خليليّ أمّا أمّ عمرو فمَنهما
فما صاديّاتِ جِمنَ يوماً وليلة
يرزّن حَبَابَ الماءِ والموتُ دُونه
بأكثرَ مني حَسرةً وصِباةً
خليليّ إني ميتٌ أم مُكَلِّمٌ
أَقِلْ حاجتي وحدي فيا رَبِّ حاجةٍ
وإنْ أَحَقَّ الناسَ مني تحيةً
ومَن قادني للموت حتى إذا صَفَتْ

غزالان مكحولان مؤتلفان
ورَغدةٍ عيشٍ ناعمٍ عَطِران
ففرّا وشيكاً بعد ما قتلاني
وأما عن الأخرى فلا تَسْلاني
على الماء دون الوردِ هُنَّ حِوان^(١٤٧)
وهنّ لأصواتِ السقاءِ رَوان^(١٤٨)
إليها ولكن الفراق غراني
لليلى بحاجي فامضيا وذراني^(١٤٩)
قضيت على هولٍ وخوفٍ مكان
وشوقاً لها من لو يشاء شقاني
مشاربه سُمّ الرُعافِ سقاني

وقال أيضاً:

أحبك حباً لو تحبين مثله
وصرتُ بقلبٍ عاشٍ أما نهاره
أصابك من وجدٍ عليّ جنون
فحزنٌ وأما ليله فأنين

● ثم نهض من الواديين ومر على وجهه يدور في الصحراء فمر برجلين قد قنصا ظبياً وربطاه، فدنا منهما المجنون وتأمله ساعة ثم قال لهما اختارا شاةً من غنمي مكانه وخلياه، فأبيا عليه، فلم يزل بهما حتى أعطاهما أربع شياه من غنمه مكانه، ثم خلياه، فأنشأ يقول:

(١٤٧) صاديّات: عطشى، جمن: استرحن وذهب إعياءهن.

الورد: إتيان الماء.

حوان: جمع حائنة أي هالكة.

(١٤٨) حباب الماء: بالفتح أي معظم الماء وقيل نفاخاته التي تعلوه [راجع مختار الصحاح].

روان: من رنا إلى الشيء إذا دام النظر إليه.

السقاء: صوت انسكاب الماء من القربة.

(١٤٩) ذراني: اتركاني.

لأعطيتُ من مالي طريقي وتالدي
شبيهاً لليلي بيعة المتزايد
ولم ترغباً في ناقصٍ غير زائد

شريتُ بشاتي شبه ليلي ولو أبوا
فلو كتما حُرَيْنَ ما بعتما معاً
وأعتقتهما رغبةً في ثوابها
وقال أيضاً:

في الجبلِ شبهاً لليلي ثم غلاها
مشابهاً أشبهتُ ليلي فحلاها
يوماً وإن طلبتُ ألفاً فدلّاهَا
من ماء مُزِنٍ قَرِيبٍ عند مرعاها

يا صاحبيّ اللذين اليوم قد أخذَا
إني أرى اليوم في أعطافِ جبلكما
وأرشداهَا إلى خضرَاءٍ معشبة
وأورداها غديراً لا عِدْمَتكما

● ثم أنه مر بني عمه، وكانوا معادين له يسخرون منه ويهزؤون به ويقولون كيف ليلي وكيف حبك لها؟ فإذا ذكرت ليلي له رجع إليه عقله فيجلس إليهم يحدثهم وينشدهم ما قال فيها من الشعر. فيقولون والله ما به من جنون وإنه لعاقل، فإذا سمع منهم هذه المقالة خنقته العبرة (١٥٠) وأنشأ يقول:

فأصبح مذهوباً به كلُّ مذهب
يضاحكني مَنْ كان يهوى تجنُّبي
روائعُ قلبي مِنْ هوى متشعب
ولا الهَمُّ إلا بافتراء التَكْذِبِ
يغوصُ عليها مَنْ أراد تَعَقُّبي
برَى اللحمِ عن أحناءٍ عظمي ومنكبي
وهيهات كان الحب قبل التجنبِ
بأسفل نُهيٍ ذي عِرَارٍ وخُلْبِ (١٥١)
غضيضةً طرفٍ رعيها وسطَ رَبْرَبِ (١٥٢)

أيا ويح من أمسى يُخْلَسُ عقله
خليعاً من الخلان إلا معدَّباً
إذا ذُكرت ليلي عقلتُ وراجعتُ
وقالوا صحِّحْ ما به طيف جنّة
ولي سقطاتُ حين أغفل ذكرها
وشاهدُ وجدي دمعُ عيني وحبها
تجنبْتُ ليلي أن يلجَّ بي الهوى
فما مغزَلُ أدماءٍ بات غزالها
بأحسنَ من ليلي ولا أم فرقد

(١٥٠) الدموع.

(١٥١) مغزول: أم الغزال.

أدماء: المائلة إلى البياض.

نهي: غدير به ماء.

عرار: نبت طيب الريح.

خلب: السحاب الجادع الذي لا ماء فيه.

(١٥٢) أم فرقد: الفرقد هو ولد البقرة.

نظرتُ خلالَ الركبِ في روتقِ الضحى
إلى طُعنٍ تُحدَى كأنَّ زهاءها
ولم أرَ ليلَى غيرَ موقِفٍ ساعةٍ
فأصبحتُ من ليلَى الغداةِ كناظرٍ
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالِكٍ
حلفتُ بمن أرسى ثبيراً مكانه
وما يسلكُ الموماةُ من كلِّ نقصةٍ
خوارجٍ من نعمانٍ أو من سُفوحه
له حظُّه الأوفى إذا كان غائباً
لقد عشتُ من ليلَى زماناً أحبها
ولما رأتُ أن التفرقَ فلتةً
أشارتُ بموشومٍ كأن بَنانَه

بعيني قَطاميّ نما فسوق عُرَقب^(١٥٣)
نسوايَ أثلٍ أو سُقياتُ أثلِب^(١٥٤)
بيطنٍ منى ترمي جمارَ المحصَّب^(١٥٥)
مع الصبحِ في أعقابِ نجمٍ مغرَّب
صدى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ
عليه ضبابٌ مثلُ رأسِ المعصَّب^(١٥٦)
طليحٌ كجفنِ السيفِ تهدي لِمركب^(١٥٧)
إلى البيتِ أو يطلعنُ من نجدِ كَبِكب^(١٥٨)
وإن جاءَ يبغي نيلنا لم يؤنَّب
أرى الموتَ منها في مجيئي ومذهبي
وأنا متى ما نَفرقَ نتشعب
من اللينِ هُدَابُ الدِمَقسِ المهذَّب^(١٥٩)

= غضيضة الطرف: تغضه حياة.

ربرب: قطع من بقر الوحش.

(١٥٣) قَطامي: الصقر طائر من الكواسر يشبه النسر.

عُرَقب: الطريق الضيق.

(١٥٤) زهاءها: شبهها.

الأثل: شجر، واحده (أثلة).

الأثلِب: بالفتح والكسر هو التراب أو الحجارة.

جفن السيف: غمده.

(١٥٥) المحصَّب هو موضع الجمار بمنى المُشْرِقة.

(١٥٦) ثبير: اسم جبل.

المعصَّب: الذي لف رأسه بعصابة.

(١٥٧) الموماة: الصحراء.

الطليح: البعير المهزول.

(١٥٨) نعمان: اسم جبل.

كَبِكب: منكبات.

(١٥٩) الدِمَقس: نسيج فاخر، كالقز أو الكتان.

هُدَاب: خيط رقيق.

موشوم: عليه وشم وهو يصف هنا يدها.

[أيا جبلي نعمان]

قال عوانة :

خرج منا رجل إلى وادي القرى مع جماعة يمتارون^(١٦٠)، فمروا على طريقهم وعثروا بالمجنون، فقالوا يا قيس نراك محباً لليلي؟ فقال نعم، قالوا أفلا تأتي جبلي نعمان؟ قال فأية ريح تهب من أرضها؟ قالوا: الصبا، فأقام بها وأنشأ يقول:

أيا جبلي نعمان بالله خلياً	سبيل الصبا يخلص إلي نسيماً
أجد بردها أو يشف مني حرارة	على كبد لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت	على نفس محزون تجلت همومها
ليالي أهلونا بنعمان جيرة	وإذ نحن نرضيها بدار نعيمها
ألا إن أدواثي بليلى قديمة	وأقتل داء العاشقين قديمها
تذكرت وصل الناعجيات بالضحي	ولذة عيش قد تولي نعيمها
وأنت التي هيجت عيني بالبكا	فأسجم غرباها فطال سجومها ^(١٦١)
وقد قذيت عيني بليلى وأتبع	قذاها وقد يأتي على العين شومها ^(١٦٢)
خليلي قوما بالعصاة فاعصبا	على كبد لم يبق إلا رميمها ^(١٦٣)

وقال:

(١٦٠) يمتارون: يطلبون طعاماً.

(١٦١) أسجم: أسال دمعها.

غرباها: ماؤها الجاري.

سجومها: انسكاب دمعها.

(١٦٢) قذيت عيني: سقط فيها ما ليس منها.

القذى: ما يسقط في العين.

شومها: شؤمها وضدها يمينها أي ضررها وأذاها.

(١٦٣) العصاة: بكسر العين القطعة من القماش تلف على الجرح.

رميمها: الأجزاء المتبقية منها.

خَلِيلِي مُرًّا بِي عَلَى الْأَبْرَقِ الْفَرْدِ
أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَّتِ مِنْ نَجْدِ
إِذَا هَتَفْتُ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضَّحَى
بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ أَزَلْ
وَأَصْبَحْتُ قَدْ قَضَيْتُ كُلَّ لَبَانَةٍ
إِذَا وَعَدْتُ زَادَ الْهَوَى لَانْتِظَارِهَا
وَأَنْ قَرَبْتُ دَارًا بِكَيْتٍ وَإِنْ نَأْتُ
أَحْنُ إِلَى نَجْدٍ وَطِيبِ تَرَابِهِ
أَلَا حَبْذَا نَجْدٍ وَطِيبِ تَرَابِهِ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا
بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يَشْفَ مَا بَنَا
عَلَى أَنَّ قَرَبَ الدَّارِ لَيْسَ بِنَافِعِ

وَعَهْدِي بَلِيلِي حَبْذَا ذَاكَ مِنْ عَهْدِ (١٦٤)
فَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجَدًّا عَلَى وَجْدِي
عَلَى فَنٍّ غَضَّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ (١٦٥)
جَلِيدًا وَأَبْدَيْتُ الَّذِي لَمْ أَكُنْ أَبْدِي
تِهَامِيَّةً وَاشْتَاقَ قَلْبِي إِلَى نَجْدِ (١٦٦)
وَإِنْ بَخَلْتُ بِالْوَعْدِ مَتَى عَلَى الْوَعْدِ
كَلَفْتُ فَلَا لِلْقَرَبِ أَسْلُو وَلَا الْبَعْدِ
وَأُرْوَاحِهِ إِنْ كَانَ نَجْدٌ عَلَى الْعَهْدِ (١٦٧)
وَأُرْوَاحِهِ إِنْ كَانَ نَجْدٌ عَلَى الْعَهْدِ
يُمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
عَلَى أَنَّ قَرَبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبَعْدِ
إِذَا كَانَ مِنْ تَهْوَاهِ لَيْسَ بِسُذِيِّ وَدِ

(١٦٤) الأبرق: كتيب به حجارة، ورمل وطين مختلطة، الفرد: الوحيد.

(١٦٥) ورقاء: حمامة.

الرند: نبت طيب الرائحة ينمو في البادية العربية.

(١٦٦) لبانة: حاجة.

تهامية: نسبة إلى تهامة العربية.

(١٦٧) في نسخة أخرى من ديوان المجنون، وجدت البيت على هذا النحو:

أحسن إلى نَجْدٍ فَيَا لَيْتَ أَنَّنِي سَقَيْتَ عَلَى سُلُوَانِهِ مِنْ هَوَى نَجْدِ

[الشوق]

ثم مضى على وجهه واشتد به الشوق فكان لا يلبس قميصاً إلا خرقة، ولا درعاً إلا مزقه. وترك محادثة الناس وصار لا يفقه شيئاً، قد اختلس لبه واختطفه الأحزان والكرب، وخامرته الجنون وعلاه الأمر الفظيع، فإذا ذكرت له ليلى أب إليه عقله وأفاق من غشيته وتجلت عنه غمرته، فإذا قطع ذكرها عاد إلى وسواسه وسوء حاله، يأنس بالوحش ويستريح إليه، ويتنسم الريح من تلقاء نجد.

[أيا هجر ليلى]

قال الوالي : ثم ولي عليهم نوفل بن مساحق ، قال : فبينما نوفل في بعض طريقه إذ مر برجل عريان كأصبح ما يكون من الرجال وهو قاعد يلعب بالتراب قد جمع العظام حوله ، فدنا منه فقال «والله ما رأيت أعجب من هذا الفتى ، يا غلام اطرَح عليه ثوباً» فقال له بعض أصحابه أتدري من هذا؟ قال لا ، قالوا هذا مجنون بني عامر ، قال نوفل : والله لقد كنت أحبه وأحب لقاءه فكيف لي بالدنومنه؟ قيل له إذا ذكرتَ له ليلي فإنه يأنس . فدنا منه نوفل وقال : أيها المشغوف إن ليلي تقرأ^(١٦٨) عليك السلام . فلما ذكرها رجع إليه عقله وأقبل إليه يحدثه كأصح ما يكون من الرجال وهو يبكي وينكت الأرض بأصبعه ويقول :

وزدتَ على ما لم يكن بلغ الهجرُ
فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
ويا سلوة الأيام موعدك الحشرُ
وينبت في أطرافها الورق النضرُ
به تُكشف البلوى ويُستزل القطرُ
كما اهتز غصن البان والفنن الخضرُ
ويا حبذا الأموات إن ضمك القبرُ
كما انتفض العصفور بلله القطرُ
زيارة ليلى أن يكون لنا الأجرُ
فأبْهتُ لا عَرفَ لَدَيَّ ولا نكرُ
وبالصخرة الصماء لأنصدع الصخرُ
ولا ساغها الماء النмирُ ولا الزهرُ^(١٦٩)

أيا هجرَ ليلى قد بلغتْ بي المدى
عجبتُ لسعي الدهر بيني وبينها
فيا حبها زدني جوًى كلَّ ليلة
تكاد يدي تندي إذا ما لمستُها
ووجه له ديباجة قرشية
ويهتز من تحت الثياب قوامها
فيا حبذا الأحياء ما دمت فيهم
وإني لتعروني لذكراك نفضة
عسى إن حججنا واعتمرنا وحُرِّمت
فما هو إلا أن أراها فجاءة
فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا
ولو أن ما بي بالوحوش لما رعتُ

(١٦٨) أي تقرئك السلام أو تقرأ عليك السلام .

(١٦٩) ساغها : حلا لها ، وطاب .

النمير : الماء النقي ، الصافي .

ولو أن ما بي بالبحار لما جرى بأمواجها بحرٌ إذا زجر البحر
قال له نوفل :

الحب صيرك إلى ما أرى؟ قال : اللهم نعم وسيلغ بي أكثر مما ترى ، واندفع
ينشد :

أيا حُدجاتِ الحي حين تحملوا
وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى
إلى الله أشكونية شقت العصا
فلو لم يهجنني الطاعنون لهاجني
تداعين فاستبكين من كان ذا هوى
لعمري إني يوم جرعاء مالك
وما كاد قلبي بعد أيام جاوزت
وإن انهمال الدمع ياليل كلما
ندمت على ما كان مني ندامة
لعمرك ما شيء سمعت بذكره
عدمتك من نفس شعاع فإنني
فقربت لي غير القريب وأشرفت
يضعفني حبك حتى كأنني
وحتى دعاني الناس أحمق مائقا

بذي سلم لا جادكن ربيع^(١٧٠)
بلين بلى ما إن لهن رُجوع
هي اليوم شتى وهي أمس جميع
نوائح ورق في الديار وقوع
نوائح لا تجري لهن دموع
لعاص لأمر العاذلين مطيع^(١٧١)
إلي بأجواز البدي يريع^(١٧٢)
ذكرتك يوماً خالياً لسريع
كما ندم المغبون حين يبيع
كبينك يأتي بغتة فيروع
نهيتك عن هذا وأنت جميع^(١٧٣)
هناك ثنايا ما لهن طلوع
من الأهل والمال التليد نزع
وقالوا تبوع للضلال مطيع

(١٧٠) الحُدجات : جمع حُدج بالكسر وهو المحفة التي تركبها النساء .

ذي سلم : اسم لموضع .

جادكن : أمطركن .

(١٧١) جرعاء : رملة مستوية لا تثبت شيئاً .

تدعيني : قسم بمعنى أقسم بغيري .

(١٧٢) أجواز جمع جوار ، راحل بعد سحر

بدي بجوار من بعد

سح

(١٧٣) نفس شعاع : نفس فلقة متفرقة .

جميع : أي نفس هادئة مجتمعة بعناصر وهي عكس الأولى .

وقال أيضاً:

خليلي هذا الربع أعلم آية
 ألم تعلمما أنني بذلت مودتي
 سألتكما بالله لَمَا قضيتما
 بجودي على ليلي بودي وبخلها
 أحسن إليها كلما ذرَّ شارق
 فوالله ثم الله إنني لصادق
 كلامك أشهى فاعلمي لو أناله
 ووالله ما أحببت حبك فاعلمي
 لقد أكثر اللوام فيك ملامتي
 وقد أرسلت ليلي إليَّ رسولها
 فجننت على خوفٍ وكنت معوذاً
 فبت وباتت لم نهتم بريبة
 وكيف أعزي القلب عنها تجلداً
 فلو أنها تدغو الحمام أجابها
 ولو مسحت بالكف أعمى لأذهبت
 منعمة تسبي الحليم بوجهها
 فتلك التي من كان داء دواؤه

فبالله عوجاً ساعةً ثم سلماً^(١٧٤)
 لليلي وأن الحبل منها تصرماً^(١٧٥)
 عليّ فقد وليتما الحكم فاحكما
 عليّ، سلاها أيّنا كان أظلمما
 كحب النصارى قدس عيسى ابن مريما
 لذكرك في قلب أجل وأعظمما
 إلى النفس من برد الشراب على الظما
 لنكر ولا أحببت حبك مائما
 وكانوا لما أبدوا من اللوم ألوماً
 بأن ائتنا سراً إذا الليل أظلمما
 أحاذر إيقاظاً عداةً ونوماً
 ولم نجترح يا صاح والله محرماً
 وقد أورثت في القلب داءً مكثماً
 ولو كلمت ميتاً إذا لتكلماً
 عماء وشيكاً ثم عاد بلا عمى
 تزين منها عفةً وتكرماً
 وهاروت كل السحر منها تعلمما

● فلما أتم هذه الأبيات قال له نوفل: هل لك أن تنجيء معي حتى أقدم ببلادك وأخطبها لك وأرغبهم في جميع ما يحتاجون إليه؟ قال هل أنت فاعل ذلك؟ قال «نعم» والله إن خرجت معي لأجهدن ولو غرمت فيك ملكي وما حوته يدي، ثم أمر فأدخل الحمام وأمر الحجام فأخذ شعره، وغير حليته وكساه كسوة فاخرة، فلما خرج نوفل أخرج المجنون معه، فلما كان بالقرب من بلادهم بلغهم ذلك فتلقوه بالسلاح الشاكي وقالوا

^(١٧٤) عوجاً فعل أمر من عوج بالفتح إذا أقام به
^(١٧٥) تصرماً. انقطع حبل، وانحس. كناية عن انقراض.

«والله لا يدخل المجنون منزلنا أبداً وقد أهدر السلطان دمه» وأقبل عليهم نوفل وأدبر فأبوا إلا المحاربة وتشمروا للمقارعة، فلما رأى نوفل ذلك قال «انصرف فإن الأمر عندهم لصعب» فانصرف المجنون عنه بخيبة، وقد كان أمر له نوفل بقلائص فردها عليه، وقال: ما وفيت لي بالعهد ثلاثاً، وأنشأ يقول:

رَأَيْتُ النِّقْصَ مِنْهُ لِلْعَهْدِ	رَدَدْتُ قَلَائِصَ الْقَرَشِيِّ لِمَا
إِلَى حَزْنٍ أَعَالَجَهُ شَدِيدِ	وَرَاخُوا مَقْصَرِينَ وَخَلْفُونِي
كَأَنِّي يَوْمَ ذَاكَ مِنَ الْيَهُودِ	أَحَبُّ السَّبْتِ مِنْ كَلْفِي بَلِيلِي

[توحش المجنون]

وَحَدَّثَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِي^(١٧٦) قَالَ: كَانَ سَبَبُ تَوْحَشِ الْمَجْنُونِ أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ بِقَرْيَةٍ فَنَادَاهُ مَنَادٌ وَهُوَ يَقُولُ:

كَلَانَا يَا أَخِي نَحْبَ لَيْلَى بِفِيَّ وَفِيكَ مِنْ لَيْلَى التَّرَابُ
لَقَدْ خَتَلْتُ فَوَادِكَ ثُمَّ بَاتَتْ بِقَلْبِي فَهُوَ مَهْمُومٌ مَصَابُ
قَالَ: فَتَنَفَسَ الصَّعْدَاءُ وَغَشِيَ عَلَيْهِ سَاعَةٌ، فَكَانَ سَبَبُ تَوْحَشِهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ.

(١٧٦) عالم اللغة والأدب وراويتهما من نحاة الكوفة المشهود لهم بالعلم والثقة والدراية، توفي سنة ٢١٠ هـ، وفي رواية أخرى ٢٠٦ هـ.
وتؤكد الشواهد أن أبا بكر الوالبي راوية ديوان مجنون ليلَى أو بمعنى آخر جامعته ومُرتبه سمع أبا عمرو الشيباني ولقيه في نهاية القرن الثاني الهجري أو في أوائل القرن الثالث الهجري. [راجع مقدمة تحقيقنا للديوان].

[حكاية الناس]

قال أبو بكر الوالبي : لما انصرف المجنون عن نوفل بخيبة ، وأبى أهلها أن يزوجه منها ، مرّ على وجهه وانصبيان يصيحون «من أراد أن يرى عاشقاً سميناً فلينظر إلى هذا» فأنشأ يقول :

أرى الناس أما من تجدد وصله
تخبرني الأحلام أنني أراكم
شهدت بأني لم أخنك مودة
وأن فؤادي لا يلين إلى هوى
وقال أيضاً :

أنفس العاشقين للشوق مرضى
عبرات المحب كيف تراها
ليس يخلو آخر النوى أن تراه
ساكياً سماً حياً ذليلاً
وقال أيضاً :

ألا ليتنا كنا غيران نرتعي
ألا ليتنا كنا حسامي مفازة
ألا ليتنا حور في البعد نرتمي
يا ليتنا نحيا جميعاً وليتنا
ضحيعين في قبرٍ عن الناس معزّل
رياضاً من الحوزان في بلدٍ قفر
نطير ونأوي بالعشي إلى وكر
إذا نحن أوسينا نلجج في البحر
نصير إذا متنا ضجيعين في قبر
ونقرن يوم البعث والحشر والنشر

أراعي الفرقدين مع الشريبا
 علقت مليحة الخدين ورداً
 أهيم بذكرها وأظلم صَبّاً
 ألايالت لحدك كان لحددي
 كذاك الحب أهونهُ شديدُ (١٧٨)
 تشبه حسن مطلعها السعدُ (١٧٩)
 وعيني بالدموع لها تجودُ
 إذا ضمت جنازنا اللحدُ

قال: فبينما هو ذات يوم يدور إذ أبصر سرباً من الظباء، فأنشأ يقول:

أترك ليلي ليس بيني وبينها
 هبوني امرأ منكم أضل بعيره
 وللمصاحب المتروك أعظم حرمة
 عفا الله عن ليلي الغداة فلإنها
 فما أكثر الأخبار أن قد تزوجت
 سوى ليلة إني إذا لصبورُ
 له ذمة إن الذمام كبير
 على صاحب من أن يضل بعير
 إذا وليت حكماً علي تجور
 فهل يأتيني بالطلاق بشير

(١٧٨) أراعي: انظر وأراقب.

الفرقدان: لجمان قريبان من القطب.

الشريبا: النجوم.

(١٧٩) علقت: أحبيت.

[وتذكر ليلي]

وقيل : خرج المملوح أبو المجنون في عدة من عشيرته ومعه المجنون وذلك قبل أن يفسو أمره ، فمر بواد يقال له «البلاكث» فبينما هم في سيرهم إذ قال المجنون لفتى منهم كان يأنس به ويفشي سره إليه «ويحك إني ذكرت ليلي ولا بد والله من الانصراف فإن نفسي تكاد تهلك شوقاً إليها» فناشده ، فأبى ، فقال «استأذن أباك» فقال «إذاً لا يأذن لي ولكن أنا منصرف وحدي» قال «وأنا معك ولكنني أعلم أخي» فأعلمه فقال «وأنا معكما» . فتخلفوا كأنهم يقضون حاجة ثم عبروا وحولوا رؤوس إبلهم . وقال :

بينما نحن بالبلاكث بالقـا	ع سراعاً والعيس تهوي هويـا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ	راك وهناً فما استطعت مضياً
قلت لبئسك إذ دعاني لك الشو	ق وللحاديين كسر المطيا

قال الوالبي : فلما طار به الوجد^(١٨٠) ولم يقدر على النظر، خرج متنكراً يريد حي ليلي ، فلما انتهى إلى قرب الحي بقي مجبراً لم يدر كيف يحتال ويصنع في دخول الحي عسى أن ينظر إليها نظرة ، فبينما هو كذلك إذ رأى عجوزاً معها سائل في عنقه سلسلة تدور به على الأبواب ، فقال يا عجوز ما تريد من هذا السائل؟ قالت «نصف ما يأخذ» قال «ضعي هذه السلسلة على عنقي وخذي ما علي من الثياب» فوضعتها على عنقه وأقبلت تدور به على الأبواب والصبيان يرمونه بالحجارة ويصيحون بالكلاب عليه ، فلما صار قريباً من خباء ليلي أنشد يقول :

هنيئاً مريئاً ما أخذت وليتي	أراها وأعطي كل يوم ثيابيا
ويا ليتها تدري بأنني خليلها	وأني أنا الباكي عليها بكائيا
خليلي لو أبصرتماني وأهلها	لدي حضور خيلتmani سوائيا ^(١٨١)
ولما دخلت الحي خلقت موقدي	بسلسلة أسعى أجر ردايا

(١٨٠) الحب الشديد .

(١٨١) سوائي : أي شخص آخر سواء من فرط تغير حالي .

أَمِيلُ بِرَأْسِي سَاعَةً وَتَقْصِدُونِي
وَقَدْ أَحَقَدَ الصَّبِيَانُ بِي وَتَجْمَعُوا
نَظَرْتُ إِلَى لَيْلَى فَلَمْ أَمْلِكِ الْبُكَاءَ
فَقَامَتْ هَيُوبًا وَالنِّسَاءُ مِنْ أَجْلِهَا
مَعْدَبَتِي لَوْلَاكِ مَا كُنْتُ سَائِلًا
وَقَائِلَةً وَارْحَمَةَ لَشَبَابِهِ
أَصَاحِبَةَ الْمَسْكِينِ مَاذَا أَصَابَهُ
وَمَا بِالْهَيْبَةِ فَقُلْتُ لِمَا بِهِ
بَنِي عَمِّ لَيْلَى مِنْ لَكُمْ غَيْرَ أَنَّنِي
وَدَدْتُ عَلَى طَيْبِ الْحَيَاةِ لَوْ أَنَّهَا
فَمَا زَادَنِي الْوَاشُونَ إِلَّا صَبَابَةً
فِي أَهْلِ لَيْلَى كَثُرَ اللَّهُ فِيكُمْ
فَمَا مَسَّ جَنَبِي الْأَرْضَ حَتَّى ذَكَرْتُهَا

عَجُوزٌ مِنَ السُّؤَالِ تَسْعَى أَمَامِي
عَلَيَّ وَشَدَّوْا بِالْكَلاَبِ ضَوَارِيَا
فَقُلْتُ ارْحَمُوا ضَعْفِي وَشَدَّةَ مَا بِيَا
تَمْشِينَ نَحْوِي إِذْ سَمِعَنْ بِكَائِيَا^(١٨٢)
أَدُورُ عَلَى الْأَبْوَابِ فِي النَّاسِ عَارِيَا
فَقُلْتُ أَجَلٌ وَارْحَمَةَ لَشَبَابِيَا
وَمَا بِالْهَيْبَةِ يَمْشِي الْوَجَى مَتْنَاهِيَا^(١٨٣)
أَلَا إِنَّمَا أَبْكِي لَهَا لَا لِمَا بِيَا
مُجِيدٌ لِلَّيْلِ مَا حَيَّيْتُ الْقَوَافِيَا
يَزَادُ لِلَّيْلِ عَمْرُهَا مِنْ حَيَاتِيَا
وَمَا زَادَنِي النَّاهُونَ إِلَّا أَعَادِيَا
مِنْ امْتَالِهَا حَتَّى تَجُودُوا بِهَا لِيَا
وَلَا وَجَدْتُ رِيحَهَا فِي ثَنَائِيَا

(١٨٢) هَيُوبًا: خائفة وجللة.

النِّسَاءُ: مخففة من النساء صومجاتها.

(١٨٣) يَمْشِي الْوَجَى: يمشي حافي القدمين.

[طبيبان]

فلما فرغ من شعره مر على وجهه عرياناً لا يلوي^(١٨٤) على شيء، فمر بطييين وهما على قارعة الطريق فدنا منهما وقال: هل فيكما من يداويني؟ قالاً: من أنت؟ قال: المجنون المستهام، قالاً: ما للعشاق عندنا دواء هو أبلغ من حبيب ضجيع إلى جنبه. فقال:

طبيبان لو داويتما نبي أجرتما
فقالا بحزن: ما لك اليوم حيلة
وقالوا دواء الحب غالي وداؤ
فما بـرحا حتى كتبت وصيتي
فما خير عشق ليس يقتل أهله
ألا حبذا البيض الأوانس كالدمى
قال: فما مضى إلا قليل إذ هو بغراب ساقط على شجره ينق فدنا منه وقال:

ألا يا غراب البين هيئت لوعتي
أبا البين من ليلى فإن كنت صادقاً
ولا زال رام فيك فوق سهمه
ولا زلت عن عذب المياه منفراً
فإن طرت أردتكَ الحتوف وإن تقف
فويحك خبرني بما أنت تصرخ
فلا زال عظم من جناحك يفسخ^(١٨٥)
فلا أنت في عش ولا أنت تفرخ^(١٨٦)
ووكرك مهدوماً وبيضك يرضخ^(١٨٧)
تقيض ثعباناً بوجهك ينفع^(١٨٨)

(١٨٤) لا يهتم بأي شيء مهما كان.

(١٨٥) يفسخ: ينقطع، وينفصل عنوة.

(١٨٦) فوق: صوب نحو الأعلى.

تفرخ: تضع فراخاً وهي صغار الطير.

(١٨٧) منفراً: مبعداً.

يرضخ: يداس عليه.

(١٨٨) الحتوف: جمع حتف وهو الموت.

تقيض: تهيأ وظهر.

على جمرٍ حَرَّ النار يُشوى ويُطبخ
وريشك متتوف ولحمك يشرح

وعانيتَ قبل الموتَ لحَمَكِ مشدَّخا
ولا زِلْتَ في شرِّ العذابِ مغلَّدَا
وقال:

يبعد النوى لا أخطأتك الشبائك^(١٨٩)
بينونة الأحباب إلفك فارك^(١٩٠)
وضاقت برحبها عليك المسالك
وناحت على ابنيك الضروس الماحك^(١٩١)
كما أنا من بين الأجنة هالك

أقول وقد صاح ابنُ دابةٍ غدوةً
أفي كل يومٍ رائعي أنت روعةً
ولا بضتَ في خضراء ما عشتَ بيضة
وفارقتَ أم الأفرخِ السوء عن قلى
وأصبحتَ من بين الأجنة هالكاً
وقال:

بينونة الأحباب دمعك سافحُ
كما سُلَّ من نظم اللاتي تطارحُ
وأمكن من أوداج حلقك ذابح
إذا أمنوا الشنحاج أنك ضائع^(١٩٢)
وكن رجلاً واجمع كما هو جامع

أمن أجل غربانٍ تصايحن غدوةً
نعم جادت العينان مني بعبرةٍ
ألا يا غرابَ البين لا صحتَ بعده
يرُوع قلوبَ العاشقين ذوي الهوى
وعَدَّ سواءَ الحبِّ واتركه خالياً

ثم مضى على وجهه، بينما هو يدور إذ مر بأطيار على أشجار يجاوب بعضها بعضاً
ويهدرن، فدنا منهم وقال:

فلاني إلى أصواتكن حنونُ
وكدتُ بأسرارٍ لهن أبينُ

ألا يا حمامات الحِمَى عُدْنَ عودةً
فعدْنَ فلما عُدْنَ عُدْنَ لشقوتي

(١٨٩) ابن دابة: كناية عن الغراب.

الشبائك: على وزن فاعل، وهي شبك الصيد.

(١٩٠) رائعي: مغزعي.

بينونة: فراق، هجر، بعد.

فارك: من فرك الثوب أو السنبل إذا افته.

(١٩١) الأفرخ السوء: صغار الطير الملاحين، عن قلى: عن كراهية وعن بغض.

الضروس: على وزن فعول، وهي صيغة مبالغة أي شديد.

الماحك: المبغض.

(١٩٢) الشنحاج: صوت الغراب.

وعِدَن بَقَرَقَارِ الْهَدِيرِ كَأَنَّمَا
فَلَمْ تَرَعِينِي مِثْلَهُنَّ حَمَائِمًا
وَكُنَّ حَمَامَاتٍ جَمِيعًا يَعْطِلُ
فَأَصْبَحَن قَدْ قَرَقَرْنَ إِلَّا حَمَامَةً
تَذَكِّرُنِي لَيْلَى عَلَى بَعْدِ دَارِهَا
إِذَا مَا خَلَا لِلنَّوْمِ أَرْقَ عَيْنُهُ
تَدَاعَيْنِ مِنْ بَعْدِ الْبُكَاءِ تَأْلَفًا
فِيَا لَيْتَ لَيْلَى بَعْضَهُنَّ وَلَيْسَتْنِي
أَلَّا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرَ زُرَانَةٍ
وَقَالَ أَيْضًا:

شَرِبَن مُدَامًا أَوْ بَهَنُ جُنُونُ (١٩٣)
بَكِينٌ فَلَمْ تَدْمَعِ لَهُنَّ عَيُونُ
فَأَصْبَحَن شَتَى مَا لَهُنَّ قَرِينُ
لَهَا مِثْلُ نَوْحِ النَّبَاحَاتِ رَنِينُ
رَوَاجِفُ قَلْبِ مَاتٍ وَهُوَ حَزِينُ
نَوَاحٍ وَرَقَ فَرَشُهُنَّ غَصُونُ
فَقَلْبَيْنِ أَرِيَاشًا وَهَنٌ سَكُونُ
أَطِيرُ وَدَهْرِي عِنْدَهُنَّ رَكِينُ
إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

أَجْدُكَ يَا حَمَامَاتٍ بِطُوقِ
أَغْرَكَ يَا حَمَامَاتٍ طَرِيقُ
وَأَنِّي قَدْ بَرَانِي الْحُبُّ حَتَّى
أَرَادَ اللَّهُ مَحَلَّكَ فِي السَّلَامَى
وَلَسْتَ وَإِنْ حَنَنْتِ أَشَدَّ وَجْدًا
وَبِي مِثْلَ الَّذِي بَكَ غَيْرَ أَنِّي
أَمَّا وَاللَّهِ غَيْرَ قَلِيلٍ وَبُغْضُ
لَقَدْ جُعِلْتُ دَوَاوِينَ الْغَوَاوِي
فَقَدَّمَأَ كُنْتُ أَرْجَى النَّاسِ عِنْدِي

فَقَدْ هَيَّجَتْ مَشْغُوفًا حَزِينًا
بَأَنِّي لَا أَنَامُ وَتَهْجَعِينَا
ضَنْيْتُ وَمَا أَرَاكَ تَغْيِيرِينَا
إِلَى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِينَا (١٩٤)
وَلَكِنِّي أَسِيرُ وَتُعَلِّنِينَا
أَحَلُّ عَنِ الْعَقَالِ وَتُعَقِّلِينَا (١٩٥)
أَسَدٌ وَلَمْ أَزَلْ جَزَعًا حَزِينًا
سَيَوَى دِيوَانَ لَيْلَى مُمَحَلِّينَا (١٩٦)
وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى مَا تَطْلُبِينَا

(١٩٣) قَرَقَارُ: تَرْدِيدُ الصَّوْتِ.

وَالْهَدِيرُ صَوْتُ الْمَاءِ الْقَوِي عِنْدَمَا يَنْزِلُ مِنْ شَلَالٍ أَوْ جَدُولٍ أَوْ نَهْرٍ أَوْ غَيْرِهِ. وَقَدْ شَرَحَهَا الْبَعْضُ عَلَى أَنَّهَا
صَوْتُ الْحَمَامِ وَهَذَا خَطَأٌ بَيْنَ لَانِ صَوْتُ الْحَمَامِ يُسَمَّى (هَدِيْلًا) وَلَيْسَ (هَدِيرًا).
وَالْمُدَامُ: الْخَمْرُ أَوْ اسْمُ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ.

(١٩٤) مَحَلَّكَ: الْمَحَلُّ الْإِجْدَابُ، وَمَعْنَاهُ انْقِطَاعُ الْمَطَرِ وَيَبَاسُ الْأَرْضِ.
السَّلَامَى: الْعِظَامُ.

(١٩٥) أَحَلُّ: أَمْتَنَعَ وَاتَّخَلَصَ.

الْعَقَالُ عَلَى وَزْنِ فَعَالٍ وَهُوَ الْأَسْرُ.

(١٩٦) مُمَحَلِّينَ عَلَى وَزْنِ مَفْعَلِينَ، أَيِ مَتْرُوكَةِ مَهْمَلَةٍ، لَا يَلْتَفَتُ إِلَيْهَا.

وعصيانِي عليكِ العاذِلِينَا

أَلَا لَا أَتَسَنَّنْ رَوَعَاتِ قَلْبِي
وقال أيضاً:

تجاوِبُ أُخْرَى دَمْعُ عَيْنِكَ دَافِقُ
بَلِيلٍ وَلَمْ يُحْزَنْكَ إِلْفُ مَفَارِقُ
سَوَاكَ وَلَمْ يَعِشْكَ كَعِشْقِكَ عَاشِقُ
أَخُو الْحُبِّ مَنْ ذَاقَ الْهَوَى وَهُوَ تَائِقُ

إِنْ سَجَعْتُ فِي بَطْنٍ وَإِدِّ حَمَامَةٍ
كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِكَاءِ حَمَامَةٍ
وَلَمْ تَرِ مَفْجُوعاً بِشَيْءٍ يَحِبُّهُ
بَلَى وَأَفْقُ عَنْ ذِكْرِ لَيْلَى فَإِنَّمَا

ثم جلس متفكراً حزينا ثم هام على وجهه، فبينما هو سائر إذ مر بسرب من قطا يطاير، فقال:

فقلت ومثلي بالبكاء جديرُ
لعلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ
فَعَاشَتْ بَضْرٍ وَالْجَنَاحُ كَسِيرُ
فَأَشْكُرُهُ إِنْ الْمَحَبَّ شُكُورُ
وَنِيرَانُ شَوْقِي مَا بِهِنَّ فَتُورُ (١٩٧)
غَدَاةُ غَدٍ فَيَمْنُ تَسِيرُ نَسِيرُ
يَعَاودُنِي بَعْدَ الزَّفِيرِ زَفِيرُ
فَكَيْفَ تَرَاهَا عِنْدَ ذَاكَ تَجِيرُ
تَوَقُّدُ جَمْرِ ثَاقِبٍ وَسَعِيرُ
وَنَيْلُ وَشَرِيَانٍ لَهْنٍ مَجِيرُ (١٩٨)
مَعْطَفَةٌ لَيْسَتْ بِهِنَّ كَسُورُ (١٩٩)
قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِهَا وَظُفُورُ
فِيَا كَبْدًا مِنْ خَوْفِ ذَاكَ تَغُورُ
أَخُو سَقَمٍ أَمْ هَلْ يُفْكَ أَسِيرُ

شَكُوتُ إِلَى سَرَبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرْنَ بِي
أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مِنْ مُعِيرٍ جَنَاحَهُ
وَأَيُّ قِطَاةٍ لَمْ تُعْزِنِي جَنَاحَهَا
وَأِلَّا فَمَنْ هَذَا يُوْدِي رِسَالَهُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو صَبُوتِي بَعْدَ كَرْبَتِي
فَإِنِّي لِقَاسِي الْقَلْبِ إِنْ كُنْتُ صَابِرًا
فَإِنْ لَمْ أُمْتَ غَمًّا وَهَمًّا وَكَرْبَةً
إِذَا جَلَسُوا فِي مَجْلَسٍ نَذَرُوا دَمِي
وَدُونَ دَمِي هَزُّ الرِّمَاحِ كَأَنَّهَا
وَزَرْقُ مَقِيلِ الْمَوْتِ تَحْتَ ظَبَاتِهَا
إِذَا غَمَزَتْ أَصْحَابُهَا تَرْنَمَتْ
قَطْعَنَ الْحَصَى وَالرَّمْلِ حَتَّى تَفْلَقَتْ
وَقَالَتْ أَخَافُ الْمَوْتَ إِنْ يَشْحِطِ النَّوَى
سَلُوا أُمَّ عَمْرُو هَلْ يَنْوَلُ عَاشِقُ

(١٩٧) صبوتي: ميلي وافتاني.

فتور: ضعف، هدوء.

(١٩٨) مقيل: من قال، يقيل، إذا استراح.

الظباة: جمع ظبة وهي حد السيف.

(١٩٩) معطفة: مائلة، أو متمائلة.

فإنني لها فيما لَدَيَّ مجيرُ
من الوُزْقِ مطرابُ العشيِّ بكورُ
فلا صحلُ تُربي به وَصْفيرُ (٢٠٠)
تعاطين كأساً بينهن تدورُ (٢٠١)
وأعلاه أثْلُ ناعمٌ وسَديرُ (٢٠٢)
وأخِر وحشي السُخال يثورُ

ألا قِل لليلي هل تراها مجيرتي
أظْلُ بحزنٍ إن تغت حمامةُ
بكت حين دُر الشوق لي وترئمت
لها رفقة يسعدنها فكأنما
يجزع من الوادي فضاء مَسِيله
به بقر لا يبرح الدهر ساكنا

وقال أيضاً:

وبأن الأخلأ الذين تزورُ
نوى بالكلييات عنك تجورُ (٢٠٣)
لها دون تكدير الصفاء نكيرُ
ونجران مخضر الجناب مَطِيرُ
عذارِي من بعد المشيب قَيرُ
أشار بليلى نحوهن مشيرُ
لهن دماء المسلمين ظُهورُ

أجد بأحياء الجميع بُكور
وشق عصا الجيران يومَ ترحلوا
براعة مكروه من الين لم يكن
محب أتاها أن ما بين ييشة
أيذهب عقلي بعد علمي وإن علا
ومستجهلي بعد التحلم نسوة
تعودن قتل المسلمين كأنما

(٢٠٠) صحل صوته: أي يح صوته.

(٢٠١) يسعدنها: عادة جاهلية وهي اجتماع النسوة لمساعدة إحداهن، وعادة ما يكون ذلك في الجنازة بالعديد والبياء والعويل وهذه العادات تنتشر بالذات في القرى والأحياء الشعبية العربية، وهذا بالطبع لا يتفق بأي حال من الأحوال مع القيم والمبادئ الإسلامية فكما علمنا الإسلام ورسوله ﷺ: ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية الأولى. والمساعدة تكون في الأفراح أيضاً بتقديم التهاني والمعاونة في الأعمال التي يتطلبها الفرح.

ولا مانع في المساعدة في المآتم بتقديم التعازي وغالباً ما يكون أهل المتوفى في شغل شاغل لذلك يسارع الجيران بتقديم الطعام للمعزين ولأهل المتوفى، وذلك سلوك حميد ما زلنا نجده في قرانا العربية - الذي نشجبه ونرفضه العوسل وأي نوع من المبالغة في الحزن أوفي الفرح فهما وجه الحياة يوم نفرح، ويوم نحزن، ولا شيء يدم على حالٍ، ودائن تدان كما يقولون.

(٢٠٢) جزع من الوادي: منطقة منه.

أثْل: شجرة.

سدير: نبت.

(٢٠٣) الكلييات: موضع.

تجور: تتعد.

وقلن تزوّج ثم دَع ما كان بيتنا
أردنَ بلاتني ما قضين لبانةً
أجارك من ريب الزمان مجيرُ
فقد غارَ أو كادَ النجومُ تغورُ^(٢٠٤)
وقال أيضاً:

شفف الفؤادُ بجارةِ الجنب
يا جارني أمسيّت مالكةُ
فظللتُ ذا أسفٍ وذا كربٍ
روحي وغالبةٌ على لُبي

[أيها الراكب]

وذكر أبو إسحاق بن الهيثم أن رجلاً من بليلي وهي واقفة على باب خبائها فقالت
أين تريد يا عبد الله؟ فقال أريد بني عامر، فزفرت زفرة وقالت:

يا أيها الراكب المزجي مطيئه عرج لأنبيء عني بعض ما أجد
فما رأى الناس من وجدي تضمّنهم إلا ووجد به فوق الذي أجد
أهوى رضاه وإني في مودته وحبه آخر الأيام أجتهد

فلما بلغ المجنون ذلك كتب إليها مع ذلك الرجل:

وأنت التي كلّفتني دلج السرى وأنت التي قطعت قلبي حرارة
وأنت التي أغضبت قومي كلهم وأنت التي أخلفتني ما وعدتني
وأبرزتني للناس ثم تركتني فلو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا
وجون القطا بالجلهتين «جنوم» (٢٠٥) ورقرت دمع العين فهو سجوم
بعيد الرضى داني الصدود كظيم وأشمت بي من كان فيك يلوم
لهم غرضاً أرّمي وأنت سليم بجسمي من قول الشاة كلوم

ثم قال: إن المجنون اعتل بعله فبعثت إليه ليلي تعوده وتقول: إن تهيأت زيارتك
غدا فعلت. فقال:

تعود مريضاً أسقمته بهجرها لقد أضمرت في القلب ناراً من الجوى
ولاني على هجرانها وصدودها خليلي كفا لا تلوما متيماً
ولو عادته عاد لا يعرف السقما فما تركت عظما ولا تركت لحما
وما حل بي منها أرى حبها حتما ولا تقتلا صباً بلومكما ظلما

(٢٠٥) دلج السرى: السير في الظلام ليلاً.

وجون القطا: الطير، اسود البطن.

جنوم: راقدات.

[ما شجاني]

وقال أيضاً:

وممّا شجاني أنها يوم ودّعت	تقول لنا أستودع الله من أدري
وكيف أعزّي النفس بعد فراقها	وقد ضاق بالكتمان من حبها صدري
فوالله والله العزيز مكانه	وقد كاد روحي أن يزول بلا أمري
خليليّ مُراً بعد موتي بتربتي	وقولا لليليّ ذا قتلٍ من الهجر

[دموع العين]

قال أبو بكر: مر رجل، بالمجنون وهو يتردد في الرمل فقال: مالك يا أبا المهدي؟ فقال:

بي اليوم ما بي من هيام أصابني كأن دموع العين تُسقى جفونها
عروباً أثرتّها نواضح مُعرب أمّرت ففاضت من فروع حثيثة
وقد بعدوا واستطردوا الالّ دونهم
فأيّاك عني لا يكرن بك ما بيا غداة رأّت أظعان ليلى غواديا
معلقةً تروي نحيلاً صواديا على جدولٍ يعلو فناً متعاديا
بديمومة قفراً وأنزلت جاديا
قال: ثم تأوه واستعبر، فرأيت دموعه تتبادر على خده كاللؤلؤ المنشور وسمط
الجمان المفصل بالشذور شفعاً ووترأ. وقال:

ذكرتُ عشية الصدفين ليلى إذا حال الغرابُ الجونَ دوني
عليّ أليّةٌ إن كنت أدري لها في طرفها لحظات حتف
وإن غضبتُ رأيتُ الناس هلكي فقلن لقد بكيّت فقلت كلا
ولكن قد أصاب سواد عيني فقلن فما لدمعهما سواء
وكل الدهر ذكراها جديداً فمنقلبي إلى ليلى بعيداً (٢٠٦)
أينقص حب ليلى أو يزيّد تميت بها وتحبي من تريداً
وإن رضيت فأرواح تعود وهل يبكي من الطرب الجليداً
عويد نديّ له طرفٌ حديد أكلتُا مقلتيك أصاب عوداً؟

(٢٠٦) الجون: الشديد السواد.
منقلبي: عودتي.

[قاتل الله الهوى]

وقال أيضاً:

ألا قاتل الله الهوى ما أشدّه وأسعره للمرء وهو جليدٌ
دعاني الهوى من نحوها فأجبتّه فأصبح بي يستن حيث يريدُ (٢٠٧)

[على ذمتي دار لليلى]

حدثنا أبو عمرو الشيباني قال: حدثنا نوفل بن مساحق قال: خرجت يوماً أتضيف الأراوي (٢٠٨) ومعي جماعة من أصحابي، فلما صرت بناحية الحمى إذا أنا بأراكة (٢٠٩) قد بدا منها قطيع من ظباء في شخص إنسان يرى من ظل تلك الأراكة، فتعجب أصحابي منه، وعرفته ساعة رأيته، فتخففت من ثيابي وخرجت أمشي رويدا حتى أتيت الأراكة، فرقيت عليها وأشرفت عليه وعلى الظباء، وإذا أنا به قد تدلى الشعر على حاجبيه وعينه فلم أكد أعرفه إلا بعد هوى من النهار وهو يرتعي (٢١٠) من ثمر الأراك لا يرفع رأسه، فتمثلت بشيء من شعره وهو:

على ذمتي دار لليلى كأنما إزاران من بردٍ لها خِلَقانِ
وكيف إلى ليلى إذا رمّ أعظمي وصار وسادي منكبي وبناني
وحلّت بأعلى بيشتين فأصبحت يمانية والرمس غيرُ يمانِ

(٢٠٧) من نحوها: من جهتها.

يستن: يذهب.

(٢٠٨) أتضيف: أطعم.

الأراوي: جمع أروية وهو غنم البرية.

(٢٠٩) أراكة: مجتمع شجر الأراك والذي نأخذ منه السواك.

(٢١٠) يرتعي: يأكل.

[أيها الشيخ]

وقيل إن المجنون لما شهر أمره بليلي خطبت له، فأبى أبوها أن يزوجه، وهكذا كانت العرب إذا شهر رجل بحب امرأة لم يزوها منه، فاشتد وجده وتراقت سورة عشقه، وكان له عم يقال له يزيد وكان شجاعاً بطلاً إلى أن لا يتزوج المجنون بليلي ولا أحد من الناس إلا قتله، فأنشأ يقول:

<p>شقيت ولا أدركت من عيشك الخفضا أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا وأصفى لليلي من مودتي المحضا ولو أكثروا لومي ولو أكثروا القرضا فينفض قلبي حين يذكرها نفضا على كبدي ناراً وفي أعظمي مرضا إذا ذكرتها النفس شدت به قبضا عليّ فما تزداد طولاً ولا عرضا وأصرع أحياناً فالتزم الأرضا أرى حبها حتماً وطاعتها فرضا وكانت مني نفسي وكنْتُ لها أرضي رأيت جميع الناس من دونها بعض</p>	<p>ألا أيها الشيخ الذي ما بنا يرضى شقيت كما أشقيتني وتركتني أما والذي أبلى بليلي بليتي لأعطيت في ليلي الرضا من يبيعها فكم ذاكر ليلى يعيش بكربة وحق الهوى إنني أحس من الهوى كأن فؤادي في مخالب طائر كأن فجاج الأرض حلقة خاتم وأغشى فيحامي لي من الأرض مضجعي رضيت بقتلي في هواها لأنني إذا ذكرت ليلى أهيم لذكرها وإن رمت صبراً أو سلواً بغيرها</p>
--	--

قال: فلما سمع عمه هذه الأبيات رق قلبه له وقال: لا يزوها أحد سوى ابن أخي إلا قتله، فمكث برهة من دهره، ثم إن يزيد هلك فأنشأ يقول:

<p>لياليه، أو أيامهن الصوالح رواجع ما أوري بزندي قاح يزيد وإذ لي ذو العقيدة ناصح</p>	<p>خليلي هل قيظ بنعمان راجع ألا لا ولا أيامنا بمتالع إذا العيش لم يكدر عليّ ولم يمت</p>
--	---

قال فخطبوها من كل جانب، فأخبرتُ أن أبا ليلي حج بها فرآها رجل من ثقيف،
فخطبها، فزوجه، فبلغ ذلك المجنون، فأنشأ يقول:

ألا إن ليلي العامرية أصبحت	تقطع إلا من ثقيف حبالها
إذا التفتت والعيسُ صعرٌ من البرى	بنحلة غشى عبرة العين حالها
فهم حبسوها محبس البدن وابتغى	بها المال أقوام فلا قل مالها
وقال أيضاً:	

ألا يا بائعي ليلي بمكة ضلّة	تبايعتما هل يستوي الثمنان
فما غبن المبتاع ليلي بماله	بل البائع ليلي هما غبنان
وقال أيضاً:	

حبيب نأى عني الزمان بقربه	فصيرني فرداً بغير حبيب
فلي قلبٌ محزونٍ وعقلٌ مدله	ووحشة مهجورٍ وذُلٌّ غريب
فيا حُقب الأيام هل فيك مطمع	لِردِّ حبيبٍ أو لدفع كُروب

[مقام الشمس]

(حكى الوالبي) قال: حدثنا رجل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: خرج رجل منا إلى ناحية الشام وبلاد نجد في طلب بعير له، فأتى أحياء بني عامر فإذا خيمة رفعت له فقصدها وقد بل المطر ثيابه، فلما دنا إذ امرأة كلمته فقالت: انزل أيها الرجل، قال فنزلت وحططت رحلي وراحت إبلهم وغنمهم، فإذا نعم كثيرة ورحل خصيب، فقالت لبعض من كان مع الإبل، سلوا هذا الرجل من أين أقبل؟ فقلت من ناحية نجد وتهامة، فقالت يا عبد الله بمن نزلت هناك؟ قلت ببني عامر، فتنفست الصعداء، فقالت بأبي ونفسي بنو عامر، ثم قالت وهل سمعت بفتى يقال له قيس ويلقب بالمجنون؟ فقلت نعم والله نزلت بأبيه ولقد أتيت حتى نظرت إليه يهيم في الصحراء مع الوحوش لا يعقل حتى تذكر له ليلي، فإذا ذكروها ثاب إليه عقله فيحدث بحديثها وينشد شعره فيها، قال فرفعت الستر من بيني وبينها فإذا هي شقة قمر لم تر عيني قط أجمل منها، وقالت هل تروي شعره؟ قلت: بلى هو الذي يقول:

أنيري مكان البدر إن أفل البدرُ	وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجرُ
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها	وليس لها منك التسمم والشفرُ
بلى لك نور الشمس والبدر كله	ولا حملت عينيك شمس ولا بدرُ
لك الشارقة الألاء والبدر طالع	وليس لها منك الترائب والنحرُ
ومن أير الشمس المنيرة بالضحي	بمكحولة العينين في طرفها فترُ
وأنى لها من دَل ليلي إذا اثنت	بعيني مهة الرمل قد مسها الذعرُ
تبسم ليلي عن ثنايا كأنها	إقاح بجرعاء المراضين أو دُرُ
منعمة لو باشر الذرُّ جلدها	لأثر منها في مدارجها الذرُّ (٢١١)
إذا أقبلت تمشي تقارب خطوها	إلى الأقرب الأدنى تقسمها البهرُ (٢١٢)

(٢١١) الذر: صغار النمل.

(٢١٢) البهر: انقطاع النفس من كثرة الإعياء.

تخاف على الأرداف يثلمها الخصر^(٢١٣)
 إلى رَشاً طفل مفاصلها خيدر^(٢١٤)
 رهائم وَسَمِيَّ سحائبه غَزُرُ
 بأجرع حزوى وهي طامسة دُثُرُ
 وآخر معهاد الرواح لها زجرُ
 وأنوارها واخضوضل الورق النضرُ
 روائح للإظلام ألوانها كدرُ
 وآثار آيات وقد راحت العُفر^(٢١٥)
 إليّ التفاتاً حين ولت بها السفرُ
 تحلَّب من أشفارها دُرُّ غَزُرُ
 أشيم رسوم الدار ما فعل الذُكرُ
 مُلفعة تريباً وأعينها غَزُرُ^(٢١٦)
 ينوب ولكن في الهوى ليس لي صبرُ

مريضة أثناء التعطف إنها
 فما أم خشف بالعقيقين ترعوي
 بمخضلة جاد الربيع زهاءها
 وقفنا على أطلال ليلي عشية
 يجاد بها مزنان أسحُم باكر
 وأوفى على روض الخزامى نسيمها
 رواحا وقد حنت أوائل ليلها
 تقلب عيني خازل بين مُرعو
 بأحسن من ليلي معيدة نظرة
 محاذية عيني بدمع كأنما
 فلم أر إلا مقلة لم أكد بها
 رفعن بها خوص العيون وجوها
 وما زلت محمود التصبر في الذي
 فقالت : هل من مزيد؟ فأنشدتها:

كفاك بذاك فيه لنا تداني
 ويعلوها النهار كما علاني

أليس الليل يجمعني ويلي
 تزى وضح النهار كما أراه

قال : فوالله ما أتممت البيتين حتى شهقت شهقة وسقطت على وجهها تبكي حتى
 ظننت أن كبدها قد تصدعت، فقلت يا هذه أما تتقين الله الذي إليه معادك؟ فما عقلت ما
 قلت لها، ثم قامت بعد حين وأنشأت تقول:

(٢١٣) يثلمها: يعيبها.

(٢١٤) خدر: جمع أخدر وهو الضعيف.

الرهائم: الأمطار.

الوسمي: أول أمطار الربيع.

(٢١٥) خازل: منتصف الظهر.

مرعو: عائد.

العفر: جمع أعر، وهو نوع من الظباء.

(٢١٦) خوص العيون: غائرات العيون.

غزر: ضيقه.

ألا ليت شعري والخطوب كثيرة متى رَحُلُ قيسٍ مستقلٌ فراجعُ
بنفسي من لا يستقلُّ برَحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع
ثم أقمت عندها ثلاثاً تسألني عن خبره وتبكي بكاء يتوجع لها كبدي فوالله ما ظننتُ
أحداً يجد كوجدها ولوعتها، فلما أردت الرحيل سألت عنها فإذا هي ليلي العامرية.

[قوى النفس]

وذكر قيس بن معمر قال: قلت لليلى: من أعز خلق الله عليك؟ قالت: من إذا عثرت نهضت باسمه، وإذا رقدت حلمت بوجهه: قيس ابن الملوح، قلت: فهل قلت في ذلك شعراً؟ قالت: نعم. وأنشأت تقول:

إذا ذهلت رجلي بدأت بذكره	وأحلم في يومي به وأعيش
إذا ذكر المجنون زالت بذكره	قوى النفس أو كاد الفؤاد يطيش
ووالله ما كاد الفؤاد يُجنُّه	وإن كان صدري من هواه يجيش

[توعدي قومي]

قال أبو جائع لبيد بن عنبسة: حدثني بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية: والله لئن لم تنتهي عن ذكره لنقتلنكما معاً، فبعثت إلى القائل على يد مولاة لها رقة مكتوباً فيها:

توعدني قومي بقتلي وقتله	فقلت اقتلونني واتركوه من الذنب
ولا تتبعوه بعد قتلي ذلّة	كفى بالذي يلقاه من سورة الحب

وقال الحسن بن سهل: أنشدني أحمد بن إسماعيل الكاتب لليلى العامرية:

قد كنت حاذرة للدهر عارفة	أن سوف يطلبني بالرمي مفتقدا
حتى رمانى بمن قد جلّ عن صفتي	فما أرى لي به ويلى الغداة يدا
لقت الدواة بماء العين ثم به	كتب ما يكتب المجهود إذ جهدا
هذا الوداع لمن روي الفداء له	قد خفت أن لا أراه بعده أبدا

[ثلاثون يوماً]

قال أبو بكر: ذكر أن المجنون لما تراقب علته إلى صعوبة وعسر علاجه، وأعيى الأطباء داؤه، ولم ينجع فيه الدواء، وصار إلى أسوأ حالة من توحشه في الصحاري، شق ذلك على ليلي وأذهلها، فدعت بغلام وكتبت إليه: بسم الله الرحمن، والله يا ابن عم إن الذي بي أضعاف ما بقلبك ولكن وجدت السترة أبقي للمودة وأحمد في العاقبة. وكتبت آخره:

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى	بأزعن ركناء صفاً وحديد
تقطّع من وجد وذاب حديد	وأمسى نراه العين وهو عميد
ثلاثون يوماً كل يوم ليلة	أموت وأحيا إن ذا لشديد

[أحن إلى ليلي]

وأمرت الغلام بطلبه حيث كان من الأرض وردَّ الجواب عنه، فمضى الغلام ولم يزل يطلبه في الصحارى حتى أصابه في يوم صائف شديد القيظ والسموم، قد لجأ إلى كهف جبل عظيم وهو مطرق ينكت الأرض بإصبعه ويقول:

أَحْنُ إِلَى لَيْلَى وَإِنْ شَطَطَ النَّوَى بَلِيلَى كَمَا حَنَّ الْيِرَاعُ الْمَنْشَبُ
يَقُولُونَ لَيْلَى عَذَّبَتْكَ بِحَبِّهَا أَلَا حَبْدًا ذَاكَ الْحَبِيبَ الْمَعَذَّبُ

فدنا منه وقال: يا قيس هذا كتاب ليلي وهي تقرأ عليك السلام، فلما ذكرها رجع إليه عقله واستوى قاعداً وتناول الكتاب وقرأه وجعل يبكي ويقول:

إِذَا جَاءَنِي مِنْهَا الْكِتَابُ بَعَيْنُهُ خَلَوْتُ بَيْتِي حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَبْكِي لِنَفْسِي رَحْمَةً مِنْ جَفَائِهَا وَيَبْكِي مِنَ الْهَجْرَانِ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي
وَإِنِّي لَأَهْوَاهَا مُسِيئاً وَمَحْسِناً وَأَقْضِي عَلَى نَفْسِي لَهَا بِالَّذِي تَقْضِي
فَحَتَّى مَتَى رَوْحُ الرُّضَا لَا يَنَالُنِي وَحَتَّى مَتَى أَيَّامُ سَخَطِكَ لَا تَمْضِي

ثم أجابها عن كتابها بهذه الأبيات:

أَيَا مُهْدٍ لِي نَغْيَ الْحَبِيبِ صَبِيحَةً بَمَنْ لَوْ رَأَاهُ عَانِيًا لَفَدَيْتُهُ
بَمَنْ لَوْ رَأَاهُ عَانِيًا لَفَدَيْتُهُ فَمَنْ مُبْلَغٍ عَنِّي الْحَبِيبَ رِسَالَةً
وَأَنِّي مَمْنُوعٌ مِنَ النَّوْمِ مُذْنَفٌ وَعَيْنَايَ مِنْ وَجْدِ الْأَسَى يَكْفَانُ

وضمته:

وَجَدْتُ الْحَبَّ نِيرَانًا تَلْظِي قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ لَهَا وَقُودُ
فَلَوْ كَانَتْ إِذَا احْتَرَقَتْ تَفَانَتْ وَلَكِنْ كُلَّمَا احْتَرَقَتْ تَعُودُ
كَأَهْلِ النَّارِ إِذَا تَضَجَّتْ جُلُودُ أُعِيدَتْ لِلشَّوَاءِ لَهُمْ جُلُودُ

أَمَّا وَالَّذِي أَعْطَاكَ بَطْشاً وَقُوَّةً
لَقَدْ مَحَضَ اللَّهُ الْهَوَى لَكَ خَالِصاً
تَبَرَّأَ مِنْ كُلِّ الْجَسُومِ وَحَلَّ بِي
سَلْيَ اللَّيْلِ عَنِّي هَلْ أَذُوقُ رِقَادَهُ

وَصَبِراً وَأُزْرَى بِي وَنَقَصَ مِنْ بَطْشِي
وَرَكْبَهُ فِي الْقَلْبِ مِنِّي بِلا غَشٍ
فَإِنْ مِتُّ يَوْمًا فَاطْلُبُوهُ عَلَى نَعْشِي
وَهَلْ لِضُلُوعِي مُسْتَقَرٌّ عَلَى فَرَشِي

[يا طبيب الجن]

وذكر أبو بكر قال: مرَّ بعض الأطباء بحيهم، فسأله أبو المجنون ما تعالج؟ قال: أعالج كل مسحور مجنون، قال: مكانك لآتيك بابت لي يهيم في الصحراء. فخرجوا في طلبه فما زالوا يطلبونه حتى قدروا عليه وأدخلوه إلى الطبيب، وأقبل يسقيه، فلما أكثر عليه المعالجة أنشأ يقول:

ألا يا طبيب الجنَّ ويحك داوِني	فإنَّ طبيبَ الإنسِ أعيأه دائيا
أتيتُ طبيبَ الإنسِ شيخاً مُداوياً	بمكة يُعطي في الدَّواءِ الأمانيا
فقلتُ له يا عمَّ حُكمك فاحتكم	إذا ما كُشِفَ اليومَ يا عمَّ مايا
فخاضَ شراباً بارداً في زُجاجةٍ	وطرَحَ فيه بِلوةً وسَقانِيا
فقلتُ ومرضى الناسِ يسعونَ حولَه	أعوذُ برَبِّ الناسِ منك مُداويا
فقال: شفاءَ الحبِّ أنْ تُلصقَ الحشا	بأحشاءٍ من تهوى إذا كنتَ خاليا

فقال: وايم الله (٢١٧) عاشق، ودواؤها أن يلصق الحشا بأحشاء من يهوى، والمجنون يعضُّ شفثيه ولسانه حتى خلَّوه، ثم نهض فمضى على وجهه، فبينما هو يدور إذ رأى ناراً في سفح أكمة (٢١٨) فدنا منه فإذا هم قوم رعاة فقال:

رعاة الليل ما فعل الصُّباحُ	وما فعلت أوائله الملاحُ
وما بال الذين سبوا فؤادي	أقاموا أم أجَدَّ بهم رواحُ
وما بال النجوم مُعلَّقات	بقلب الصبِّ ليس لها براحُ
كأن القلب ليلة قيل يُغدى	بليلى العامرية أو بُراحُ
قطاة غرَّها شرك فباتت	تجاذبه وقد علَّق الجناحُ

(٢١٧) أي ويمين الله - قسم.

(٢١٨) في أعلى مرتفع من المرتفعات - فاقترب منه

وعشُّهما تصفُّهُ الرِّياحُ
وقالا أُمْنَا تأتي الرواحُ
ولا في الصبحِ كانَ لها براحُ
فقد أودَى بيَ الحبُّ المناخُ

لها فرخانِ قد تُركا بقفرٍ
إذا سمعا هُبُوبَ الرِّيحِ هَبًّا
فلا بالليلِ نالتَ ما ترَجَّى
رُعاةَ الليلِ كونوا كيف شئتم

[يا ناعبي ليلي]

وقال أبو بكر: إن المجنون بينما هو ذات يوم في أودية مصلة، قد أسند ظهره إلى بعض الصوى^(٢١٩) حزينا كئيباً، إذ مر به فارسان فنعيا إليه ليلي وقالوا: مضت لسبيلها؛ فخر المجنون مغشياً عليه، فلما أفاق أنشأ يقول:

أيا ناعبي ليلي بجانب هضبة	أما كان ينعاها إلي سواكما
ويا ناعبي ليلي بجانب هضبة	فمن بعد ليلي لا أمرت قواكما
ويا ناعبي ليلي لقد هجتما لنا	تباريح نوح في الديار كلاكما
فلا عشتما إلا حليفي مصيبة	ولا متما حتى يطول بلاكما
وأسلمت الأيام فيها عجائباً	نبوتكما إني أحب رداكما
أظنكما لا تعلمان مصيبتني	لقد حل بين الوصل فيما أراكما

قال: ثم مضى حتى دخل الحي بعدما لم يكن يمر به إلا من بعيد، فأتى أهل بيتها فعزاهم فعزوه، فقال دلوني على قبرها، فلما عرفه رمى بنفسه على القبر والتزمه، وأنشأ يقول:

أيا قبر ليلي لو شهدناك أعولت	عليك نساء من فصيح ومن عجم
ويا قبر ليلي أكرمن محلها	يكن لك ما عشنا علينا بها نعم
ويا قبر ليلي إن ليلي غريبة	بأرضك لا خل لديها ولا ابن عم
ويا قبر ليلي ما تضمنت قبلها	شبيهاً لليلي ذا عفافٍ وذا كرم
ويا قبر ليلي غابت اليوم أمها	وخالتها والحافظون لها الدمم

(٢١٩) الصوى: جمع صوة، وهي الصخور.

[إلى قبر ليلى]

قال أبو بكر: ثم إنه كان يأوي إلى قبر ليلى ويدور نهاره حتى جف جلده على عظمه، واشتدت بليته، فمكث على ذلك دهرًا، ثم إن رجلاً أحب لقاءه والنظر إليه وإلى ناحية نجد، قال الرجل فلما صرت إلى بلدهم سرت إلى محلّتهم، فإذا أبوه شيخ كبير وحوله أبناء ذوو أموال وهيئات ونعم ظاهرة، فسألته عن المجنون فبكوا بكاء شديداً ثم قال الشيخ: كان والله أحسن هؤلاء، وإنه عشق امرأة من قومه لم تكن في المال مثله، فلم أر تزويجها إياه، وما أظن أنه يبلغ من حبها ما بلغ، فلما تمادى به الحب طلبناها فمنعها أبوها ثم زوّجها غيره، فجن ابني بها وجداً فحبسناه وقيدناه، فكان يَعْض لسانه وشفّتيه حتى كاد يقطعهما، فلما رأينا منه ذلك خلينا سبيله فذهب في هذه الفيافي يرعى مع الوحوش ويردّ المياه ونحن نبعث إليه كل يوم بطعام وشراب فيوضع له حيث يري، فإذا انتحى عنه الواضع جاء وأكل. قلت: فإني أحب لقاءه فدلوني عليه، قالوا اخرج إلى هذه الصحراء فإنك تصيبه هناك. قلت: إذا رأيته كيف أحتال للدنو منه؟ قالوا: فإذا رأيته فأنشده بعض شعر قيس بن ذريح، فإنه معجب بشعره. قال الأعرابي: فذهبت فأصبتة قاعداً يلعب بالتراب، فجلست قريباً منه، فأقبل يلاحظني ساعة بعد ساعة، فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

وإني لمفني دمع عيني بالبكاء	حذاراً لما قد كان أو هو كائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي	بكفي إلا أن ما حان حائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليّة	فراق حبيب بان أو هو بائن

قال: فبكي بكاء شديداً وسالت دموعه على خده وأنشأ يقول:

لِصفراءٍ في قلبي من الحبّ شعبة	هوى لم ترمه الغانيات صميم
به حل بيت الحبّ ثم انثنى به	فزالت بيوت الحي وهو مقيم
ومن يتهيّض ^(٢٢٠) حبهنّ فؤاده	يمت ويعش ما عاش وهو سقيم

(٢٢٠) يتهيّض: يحطم.

فَحَرَّ إِنْ صَادَ أَنْ يُدَدَ عَنْ بَرْدٍ مُشْرَبٍ
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ فَقْدِهِمْ وَتَهَلَّلَتْ
أَهْذَا الَّذِي يَبْكِي مِنَ الْهُونِ وَالْبَلَا
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو حَبَّ لَيْلِي كَمَا شَكَا
يَتِيمٌ جَفَاءُ الْأَقْرَبُونَ فَعَظُمَ
أَفِي الْحَقِّ هَذَا أَنَّ قَلْبِكَ فَارِغٌ
إِذَا ذُكِرْتُ لَيْلِي أَثْنُ لَذِكْرِهَا
عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ جَبْهَا
دَعُونِي فَمَا عَنْ رَأْيِكُمْ كَانَ جَبْهَا
وَقَالَ أَيْضاً:

وَعَنْ بِلَلَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ يَحُومُ
دَمُوعِي فَأَيُّ الْجَازِعِينَ الْوَمُ
أَمْ آخِرُ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَهِيمُ
إِلَى اللَّهِ فَقَدْ الْوَالِدَيْنِ يَتِيمُ
كَسِيرٌ وَقَدْ الْوَالِدَيْنِ عَظِيمُ
وَقَلْبِي مِمَّا قَدْ أَجَنَّ يَهِيمُ
كَمَا أَنَّ بَيْنَ الْعَائِدَاتِ سَقِيمُ
عَلَى النَّأْيِ فِي طَوْلِ الزَّمَانِ يَرِيمُ (٢٢١)
وَلَكِنَّهُ حَظٌّ لَهَا وَقَسِيمُ

لَمْ تَزَلْ مُقْلَتِي تَفِيضُ بِدَمْعٍ
مُقْلَةً دُمْعُهَا حَثِيثٌ وَأُخْرَى
مَا جَرَتْ هَذِهِ عَلَى الْخَدِّ حَتَّى
دَمْعَةٌ بَعْدَ دَمْعَةٍ فَإِذَا مَا

مِثْلُ فَيْضِ الْغِيوْتِ مَذْ فَقَدَتْهَا
كَلِمَا جَفَّ دُمْعُهَا أَسْعَدَتْهَا
لِحَقَّتْ تِلْكَ بِالَّتِي سَبَقَتْهَا
لِحَقَّتْ تِلْكَ هَذِهِ أَحْدَرَتْهَا

قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْشُدَنِي بَعْضَ أَشْعَارِهِ ، فَأَنْشُدُ يَقُولُ :

لَنْ كَثُرَتْ رُقَابُ لَيْلِي لَطَالَمَا
رَأَيْتُ حَالَ يَأْسٍ دُونَ لَيْلِي فَرُبَّمَا
وَمُنِيَّتِي حَتَّى إِذَا مَا رَأَيْتُنِي
صَدَدَتْ وَأَشْمَتَ الْعِدَاةَ بِهِجْرِنَا
أَبْعَدُ عَنْكَ النَّفْسَ وَالنَّفْسُ صَبَّةٌ
مَخَافَةٌ أَنْ تَسْعَى الْوَشَاةُ مَظْنَةً
أَمَّا وَالَّذِي يَبْلُو السَّرَائِرَ كُلَّهَا
لَقَدْ كُنْتُ مِمَّنْ تَصْطَفِي النَّفْسُ خِلَةً
وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا

لَهَوْتُ بَلِيلِي مَا لَهْنٌ رَقِيبُ
أَتَى الْيَأْسُ دُونَ الشَّيْءِ وَهُوَ حَبِيبُ
عَلَى شَرَفٍ لِلنَّاظِرِينَ قَرِيبُ (٢٢٢)
أَتَابِكَ فِيمَا تَصْنَعِينَ مُشِيبُ
بِذِكْرِكَ وَالْمَمْشَى إِلَيْكَ قَرِيبُ
وَإِكْرَامُكُمْ أَنْ يَسْتَرِيبَ مَرِيبُ
وَيَعْلَمُ مَا تُبْدِي بِهِ وَتَغِيبُ
لَهَا دُونَ خِلَانِ الصَّفَاءِ حُجُوبُ
عَلَيَّ بَظْهَرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبُ

(٢٢١) يريم : يبرح ويتقطع .

(٢٢٢) شرف : مكان مرتفع .

وحتى تكاد النفس عنك تطيب (٢٢٣)
بيوم سروري في هواك أتوب

تلجّين حتى يذهب اليأس بالهوى
سأستعطف الأيام فيك لعلها
وقال أيضاً:

إلى آل ليلى أو دنو غروبها
وما ذنب ليلى إن طوى الأرض ذبيها (٢٢٤)
غروب ثانيا أم عمرو وطيبها (٢٢٥)

ألا هل طلوع الشمس يُهدي تحيةً
أُتُضربُ ليلى إن مررتُ بذِي الغُضى
أجلّ عليّ الرَجْمُ إن قلتُ جُداً
وقال أيضاً:

قضاءً على ليلى وإني رفيقها
يغصُّ بأعضاء المِطِيِّ طريقها (٢٢٦)
ويشغلُّ عنا أهل مكة سوقها
وتمنحُ نفساً طالَ مطالاً حقوقها (٢٢٧)

فيا ليت ليلى وافقت كل حجة
مجمعة من نخلتين ثنية
والقائه عند الركن أو جانب الصفا
فأنشدوها أن نحوي الهون والهوى

قال: فلما فرغ انصرفت إلى الحي وحدثتهم بحديثه وما أنشدني من شعره، فقالوا لي: ويحك إن رجعت إليه فانظر عسى أن تأخذ قصيدته التي قالها في الثمدين فقد جهدنا على نسخها فلم نقدر عليها. قال الأعرابي: فمررت إليه ثانياً فلم أزل أطلبه حتى وجدته على قوز (٢٢٨) من الأرض قد كومتها الريح كوما يخط بأصبعه فيه، فدنوت وجلست إليه وهو يلاحظني فقلت: أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول:

(٢٢٣) شرف: مكان عالٍ (والمقصود هنا أنه يلقي بنفسه منه).

(٢٢٤) تلجّين: تقسين.

(٢٢٥) ذي الغضى: اسم لموضع.

ذبيها: طالبها أو الذئب الذي يبحث عنها.

ثانيا: جمع ثنية وهي السن.

أم عمرو: كنية أخرى ليلي العامرية محبوبة المجنون.

(٢٢٦) ثنية: طريق (العقبة).

يغص: يمتلئ.

أعضاء: جمع عضد، وهو يساعد في الإنسان.

(٢٢٧) الهون: الهوان.

مطالاً: مطاطلة وتسويقاً.

(٢٢٨) القوز: الكتيب من الرمال - ويجمع على أقواز وقيزان.

فواكبدي وعأودني رواعي وكان فراق لبني كالخداع
تكنفني الوُشاة فأزعجونني فيا لله للواشي المطاع
فأصبحتُ الغداة ألوم نفسي على شيء وليس بمستطاع
كمغبونٍ يعضُّ على يديه تبينَ غبسه بعدَ البيع
إذا ما تُذكرينَ تحنُّ نفسي حنينَ الالفِ يطربُّ للسماع

قال المجنون: بلى والله، واستعبرَ حيناً، ثم قال: أنا أشعر منه حيث أقول:

فوالله ثم الله إنسي لدائباً أفكرُ ما ذنبي إليك فاعجبُ
ووالله ما أدري علامَ هجرتني وأيُّ أمورٍ فيك يا ليلَ اركبُ
أقطعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونهُ وأشربُ كأساً منكم ليس يُشربُ
أم اهربُ حتى لا أرى لي مجاوراً أم افعلُ ماذا أم أبوحُ فأغلبُ
فأيهما يا ليلُ ما تفعلينه فأولُ مهجورٍ وآخرُ متعبُ
فلو تلتقي أرواحنا بعدَ موتنا ومن دونِ رمسينا من الأرضِ منكبُ^(٢٢٩)
لظلُّ صدى رَمسي وإن كنتُ رَمَّةً لدى صوتِ ليلي يَهشُّ ويطربُّ

فإن لم أكن أشعر منه في هذا، فأنا أشعر منه حيث أقول:

ألا يا نسيمَ الريحِ حكمك جائرُ عليّ إذا أرضيتني ورضيتُ
ألا يا نسيمَ الريحِ لو أن واحداً من الناسِ يلبسه الهوى لبليتُ
فلو خلطَ السمُّ الزُعافَ بريقها تمصصتُ منه نهلةً ورويتُ

ثم قال: فإن لم أكن أشعر منه في هذا فأنا أشعر منه حيث أقول:

وعارضنَ بالعقيان كلَّ مُفلجٍ به الظلمُ لم تقللُ لهنَّ غروبُ^(٢٣٠)

(٢٢٩) دون: بعد.

الرمس: تراب القبر.

منكب: الكتف.

(٢٣٠) العقيان: الذهب الخالص.

مفلج: متباعد ما بين الأسنان.

الظلم: بريق الأسنان وماؤها.

رُضَابٌ كَرِيحِ الْمَسْكِ يَجْلُو مُتُونَهُ مِنْ الضُّرُوءِ أَوْ فَرَخِ الْبِشَامِ قَضِيبٌ (٢٣١)
ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قُلْتُ: أَحْسَنَ وَاللَّهِ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ.

(٢٣١) رُضَابٌ: بضم الراء، الريق.
متونه: جمع متن وهو الظهر.
البشام: شجر طيب الريح يستاك به.
قضيب: غصن أو سواك.

[هَبُونِي امراً]

حيث يقول:

هَبُونِي امراً إِنْ تُحَسِّنُوا فَهُوَ شَاكِرٌ
فَإِنْ يَكْ أَقْوَامُ أَشَارُوا بِقَتْلِهَا
فَمَا وَجَدْتُ وَجْدِي بِهَا أَمْ وَاحِدٍ
وَجَدْتُ بِهَا وَجْدَ الْمُظَلِّ رِكَابُهُ
فَقَالَ: أَنَا أَشْعَرُ مِنْهُ حَيْثُ أَقُولُ:

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنَنِي
تَجَافَيْتَ عَنِّي حَتَّى لَا لِي حِيلَةٌ
بِقَوْلٍ يُحِلُّ الْعَصَمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ
وَعَادَرْتِ مَا غَادَرْتِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

فَقُلْتُ: سَأَلْتُكَ بِحَقِّ قَبْرِ لَيْلَى أَنْ تَنْشُدَنِي قَصِيدَتَكَ الَّتِي قُلْتَهَا فِي الشُّمْدِينَ، وَقَدْ
كُنْتُ أَخَذْتُ مَعِيَ دَوَاةَ وَقْرَ طَاساً، فَأَنْشُدُ:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى وَالسَّنِينَ الْخَوَالِيَا
وَيَوْمَ كَظَلَّ الرَّمْحَ قَصَّرتُ ظِلَّهُ
وَأَيَّامَ لَا نَخْشَى عَلَى اللَّهِ وَنَاهِيَا
بَلِيلِي فَلَهَّأَنِي وَمَا كُنْتُ لَا هِيَا

[لاحت نار ليلي]

بشمدينَ لاحَتَ نارُ ليلي وَصُحْبتي
فقال بصيرُ القومِ لَمَحَتْ كوكباً
فقلتُ لَهُ بل نارُ ليلي توقَّدتْ
فليتَ ركابُ القومِ لَمْ تقطعِ الغَضَى
فيا ليلُ كم من حاجةٍ لي مُهمّةٍ
خليلي إِنْ لا تبكياني التمسُ
فما أشرفُ الأبقاعِ إلا صاباةٌ
وقد يجمعُ الله الشيتينَ بعدما

بذاتِ الغَضَى تُزجي المطيَّ النواجيا
بدا في سوادِ الليلِ فرداً يمانيا
بعلياً تسامى ضوؤها فبدا ليا (٢٣٢)
وليتَ الغَضَى ماشى الرُكَّابُ لياليا (٢٣٣)
إذا جتَّكم بالليل لَمْ أدر ما هيا
خليلاً إذا أنزفتُ دَمعي بكى ليا
ولا أنشدُ الأشعارَ إلا تداوريا
يظنانِ كُلَّ الظنِّ أن لا تلاقيا

[لحي الله أقواماً]

لحي الله أقواماً يقولون إننا
وعهدي بليلى وهي ذاتُ مؤصِّدٍ
فشبَّ بنو ليلي وشبَّ بنو ابنها
إذا ما جلسنا مجلساً نستلذهُ
سقى الله جاراتِ ليلي تباعدتْ
ولم يُنسني ليلي افتقارٌ ولا غنى
ولا نسوةٌ صبغنَ كيداءَ جلعداً
خليلي لا والله لا أملكُ الذي

وجدنا طوالَ الدهرِ للحبِّ شافيا
تردُّ علينا بالعشيِّ المواشيا (٢٣٤)
وأعلاقُ ليلي في فؤادي كما هيا
تواشوا بنا حتى أملُ مكانيا
بهنَّ النوى حيثُ احتلنَ المطاليا
ولا توبةً حتى احتضنتُ السواريا
لتشبهَ ليلي ثم عرَّضنها ليا (٢٣٥)
قضى الله في ليلي ولا ما قضى ليا

(٢٣٢) عليا: علياء وهي مكان عالٍ.

تسامى: ارتفع.

(٢٣٣) الغَضَى: شجر أو موضع به شجر.

(٢٣٤) مؤصِّد: فناء.

(٢٣٥) كيداء: هي الرأس المكشوفة.

جلعد: لا تستر.

[ابتلائي بحبها]

قضاها لغيري وابتلائي بحبها
وخبّرتماني أنّ تيماء منزلُ
فهذي شهور الصيفِ عَنّا قد انقضتْ
فلو أنّ واشٍ باليمامة دارهُ
وماذا لهم لا أحسنَ الله حالهم
وقد كنتُ أعلو حُبّ ليلي فلم يزلْ
فيا ربَّ سَوِّ الحُبَّ بيني وبينها
فما طلع النجمُ الذي يُهتدى به
ولا سرتُ ميلاً من دمشق ولا بدا

فهلّا بشيءٍ غيرِ ليلي ابتلاني
لليلى إذا ما الصَّيفُ ألقى المراسيا
فما للنوى ترمي بليلى المراميا
وداري بأعلى حُضرموت اهتدى ليا
من الحظِّ في تصرّيم ليلي حباليا
بيّ النقضُ والإبرامُ حتى علانيّا
يكونُ كفافاً لا عليّ ولا ليا
ولا الصبحُ إلا هيّجا ذكرها ليا
سهيلٌ لأهل الشام إلا بدا ليا

[أحبها]

ولا سَمَّيتُ عندي لها من سَمِيَّةٍ
ولا هَبَّتْ الريح الجنوب لأرضها
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بلادها
فأشهدُ عند الله أني أحبُّها
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا
وإن الذي أُمِلْتُ يا أمَّ مالك
أعدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ
وأخرجُ من بين البيوت لعلني
أراني إذا صليتُ يَمُمْتُ نحوها
وما بيَ إشراكٌ ولكنَّ حبَّها
أحبُّ من الأسماءِ ما وافق اسمها
خليلي ليلى أكبرُ الحاجِ والمنى

من الناسِ إلا بَلَّ دمعِي رداثيا
من الليل إلا بَتَّ للريحِ جانيا
عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
فهذا لها عندي فما عندها ليا
وبالشوق مني والغرامِ قضى ليا
أشابَ فويدي (٢٣٦) واستهان فؤاديا
وقد عشتُ دهرًا لا أعدُّ اللياليا
أحدُّثُ عنكِ النفسَ بالليلِ خاليا
بوجهي وإن كان المصلَّى وراثيا
وعُظْمَ الجوى أعياءَ الطبيبِ مداويا
أو اشبههُ أو كان منه مدانيًا
فمن لي بليلى أو فمن ذا لها بيا

(٢٣٦) فودا الرأس: جانباه، وغالباً ما يبدأ الشيب في الظهر من خلفهما.

[يا حمامة]

لعمري لقد أبكيتني يا حمامة الـ
خليلي ما أرجو من العيش بعدما
وتجرم ليلى ثم تزعم أنني
فلم أر مثلينا خليلي صباية
خليلان لا نرجو اللقاء ولا نرى
وإني لأستحييك أن تعرض المنى
يقول أناس عل مجنون عامر
بي اليأس أو داء الهيام أصابني
إذا ما استطال الدهر يا أم مالك
إذا اكتحلت عيني بعينك لم تنزل

عقيق وأبكيت العيون البواكيا
أرى حاجتي تُشرى ولا تشتري ليا
سلوت ولا يخفى على الناس ما بيا
أشد على رغم الأعادي تصافيا
خليلين لا يرجون أن لا تلاقيا
بوصلك أو أن تعرضي في المنى ليا
يروم سلوا قلت أنني لما بيا
فياك عني لا يكن بك ما بيا
فشأن المنيا القاضيات وشانها
بخير وحلت غمرة عن فؤادها

[أيها الركب اليمانيون]

فأنت التي إن شئت أشقيت عيشتي
وأنت التي ما من صديق ولا عدا
أمضروبة ليلى على أن أزورها
إذا سرت في الأرض الفضاء رأيتني
يمينا إذا كانت يمينا وإن تكن
وإني لأستغشي وما بي نعسة
هي السحر إلا أن للسحر رقية
إذا نحن أدلحنا وأنت أماننا
ذكت نار شوقي في فؤادي فأصبحت
ألا أيها الركب اليمانيون عرجوا
أسائلكم هل سأل نعمان بعدنا
ألا يا حمائي بطن نعمان هجتما

وأنت التي إن شئت أنعمت باليا
يرى نضو ما أبقيت إلا رثي ليا
ومتخذ ذنباً لها أن ترانها
أصانع رخلي أن يميل جاليا
شمالاً ينازعني الهوى عن شمالها
لعل خيالاً منك يلقي خيالها
وإني لا ألقى لها الدهر راقها
كفى لمطايانا بذكراك هاديا
لها وهج مستضرم في فؤادها
علينا فقد أمسى هوانا يمانها
وحب إلينا بطن نعمان وادها
علي الهوى لما تغنيتما ليا

[يقتل المرء نفسه]

وأبكيتماني وَسَطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُنْ
وَيَا أَيُّهَا الْقُمْرِيُّتَانِ تَجَاوَبَا
فَإِنْ أَنْتُمَا اسْتَطَرَبْتُمَا أَوْ أَرَدْتُمَا
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي مَا لِلَّيْلِ وَمَا لِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْوَاشِي بَلِيلِي أَلَا تَرَى
لَنْ ظَعْنِ الْأَحْبَابِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
فِيَا زُبَّ إِذْ صِيرْتَ لَيْلِي هِيَ الْمَنَى
وِإِلَّا فَبَغَضَهَا إِلَيَّ وَأَهْلَهَا
عَلَى مِثْلِ لَيْلِي يَقْتُلُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ
خَلِيلِي إِنْ ضَنُّوا بَلِيلِي فَقَرِّبَا

- قال الأعرابي : فلما أتم هذه القصيدة ظهرت له ظبية فوثب في طلبها والتفت إليَّ وقال : السلام عليك فما أراك تراني بعد هذا أبداً.

- قال الأعرابي : ثم مضيت إلى الحي فأخبرتهم خبره وأنشدتهم قصيدته فكتبوها ، فلما كان من الغد بكرت إليه وطلبتة فلم أقدر عليه فانصرفت إلى الحي وأعلمتهم ، فقام إخوته وبنوعمه وأهل بيته فطلبناه يومنا وليلتنا فلما أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل إذا نحن به ميتاً ، وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين :

توسَّدَ أَحْجَارَ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ وَمَاتَ جَرِيحَ الْقَلْبِ مَنْدَمَلُ الصَّدْرِ
فِيَا لَيْتَ هَذَا الْحَبِّ يَعْشَقُ مَرَّةً فَيَعْلَمَ مَا يَلْقَى الْمُحِبُّ مِنَ الْهَجْرِ

فرثيناه وعلت أصواتنا بالبكاء وحملناه إلى الحي ، فبكى عليه الغريب والقريب وكل من سمع باسمه يوماً ، ثم غسلناه وكفناه ودفناه إلى جانب قبر ليلى ، رحمهما الله تعالى .

[كل امرئ للموت شارب]

قال أبو بكر: لما مات الملوّح أبو المجنون، بلغه ذلك، فأتى قبره وكانت له ناقة
فنحرها على قبره، وكانت العرب هذا شأنها تفعل ذلك إذا مات منهم أحد، وأنشأ يقول:

عقرتُ على قبرِ الملوّحِ ناقتي	بذي الرميّ لما أن جفاه أقاربُه
فقلتُ لها كوني عقيراً فإنني	غداة غديّ ماشٍ وبالأمس راكبُه
فلا يُبعدنك الله يا ابن مُزاحمٍ	فكلُّ امرئٍ للموتِ لا بدّ شاربُه

[خاتمة]

قال أبو بكر الوالبي ، رحمه الله تعالى : هذا جملة ما تنهى إلينا من أخبار المجنون وأشعاره ، وما كان منحولاً من قصيدة أو خبر أعرضنا عن كتبه . والله سبحانه وتعالى أعلم (*) .

(*) إلى هنا ينتهي بحمد الله تعالى تحقيق كتاب «ديوان قيس بن الصلوح» الشهير بـ «محنون ليلى العامرية»
مراجعاً على عدة نسخ وانتهينا منه ظهر يوم الأحد الموافق ٤ من جمادى الأولى سنة ١٤١٠ هـ الموافق ٣
من ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٨٩م والله العليّ العزيز ولي التوفيق .

فهرس القوافي

فهرس القوافي

٧٨	غريب	(الهمزة)	
٨٠	مذهب		
٨٩	التراب	٥٤	شياء
٩٩	كرب		
١٠٥	حبيب	(الألف)	
١٠٩	انذب	٤١	تراها
١١١	المنشأ	٤٧	سواها
١١٧	رقب	(الباء)	
١١٨	غروبها	٣٦	حبيب
١١٩	فأعجب	٣٦	الصعب
١١٩	غروب	٤٠	تطيب
١٢٧	أفاريه	٣١	ذنوبها
	(التاء)	٤١	عجيب
١١٧	فقدتها	٤٧	الكرب
١١٩	ورضيت	٤٩	ب
	(الجيم)	٥٠	العض
٧٧	بنفسجا	٥٣	عالب
	(الحاء)	٥٩	حرب
٩٥	سافح	٧٢	قبي
١٠٤	الصوالح	٧٦	الذواهب
		٧٨	حبيب

١١٣	الملاح
١٢١	صانع
١٢١	الاطح
(الراء)	
٣٣	يدري
٣٤	بالجمر
٣٠	ازورها
٤٧	الشجرا
٤٧	يقصر
٥٦	سراثره
٥٨	النواظر
٦١	وأمطار
٦١	صدري
٦٨	بر
٧٠	وكر
٧٤	الغوائر
٧٦	فالضمائر
٧٧	ذاكره
٨٥	الهجر
٩٠	قفر
٩١	لصبور
٩٤	الأجر
٩٧	جدير
٩٨	تزور
١٠١	أدري
١٠٦	الضجر
١٢٦	الصدر
(الشين)	
١٠٩	وأعيش
١١٢	بطشي
٩٤	نصرح
(الدال)	
٣٧	العهد
٤٥	همودا
٥٠	جراذ (رجز)
٥٣	بخالد
٦٥	وترقد
٦٧	أعوذها
٧٧	معادي
٧٨	أسود
٧٨	نجد
٨٠	وبالدي
٨٣	من عهد
٨٨	للعهود
٩٠	بليد
١٠٠	أجد
١٠٢	حديد
١٠٣	حليد
١٠٩	مفتقد
١١٠	هيد
١١١	وقد

(الصاد)

قاضي ٤٤

(الضاد)

يَتَقَضَى ٩٠

الخفضا ١٠٤

الأرض ١١١

(العين)

شفيع ٢٨

طمعا ٣٩

التلاع ٤٦

نزوع ٥٠

أجزع ٧١

المضاجع ٧٦

ربيع ٨٦

فراجع ١٠٧

كالخداع ١١٩

(القاف)

صديق ٤٥

ذاقها ٥٤

نطروق ٥٧

وأنت صديق ٦٦

دافق ٩٧

رفيقها ١١٨

(الكاف)

الشبائك ٩٥

سواكما ١١٥

(اللام)

البقولا ٤٧

تهمل ٤٨

ثغلي ٥٥

عصل ٥٦

حلا ٦٥

وطولها ٦٧

يقال ٧٢

سبيل ٧٥

تعقل ١٠٥

جبالها

(الميم)

حجم ٢٨

يسلم ٣٠

ذميم ٥١

لكلما ٥٦

النائم ٥٩

ونسيمها ٦٠

ويظلم ٧٣

التمائم ٧٤

إلي نسيمها ٨٢

سلما ٨٧

جنوم ١٠٠

السقما ١٠٠

عجم ١١٥

صميم ١١٦

(النون)

٣١	المحبين
٥١	شجون
٦٤	رآني
٧٧	حنينا
٧٩	مؤلفان
٧٩	جنون
٩٠	فسمين
٩٥	حنون
٩٦	حزينا
١٠٣	خلقان
١٠٥	الثمان
١٠٧	تداني
١١١	تشان
١١٦	كائن

(الهاء)

٨٠	غلاها
----	-------

(الياء)

٣٨	وخاليا
٤٢	المكاويا
٤٦	لبكى ليا
٥٧	يمانيا
٦٤	مناديا
٧٨	وراثيا
٩٢	هويا
٩٢	ثيابيا
١٠٢	مايا
١١٣	دائيا
١٢١	ناهيا
١٢٢	النواجيا
١٢٢	شافيا
١٢٣	ابتلائيا
١٢٤	ردائيا
١٢٥	البواكيا
١٢٥	باليا
١٢٦	خاليا